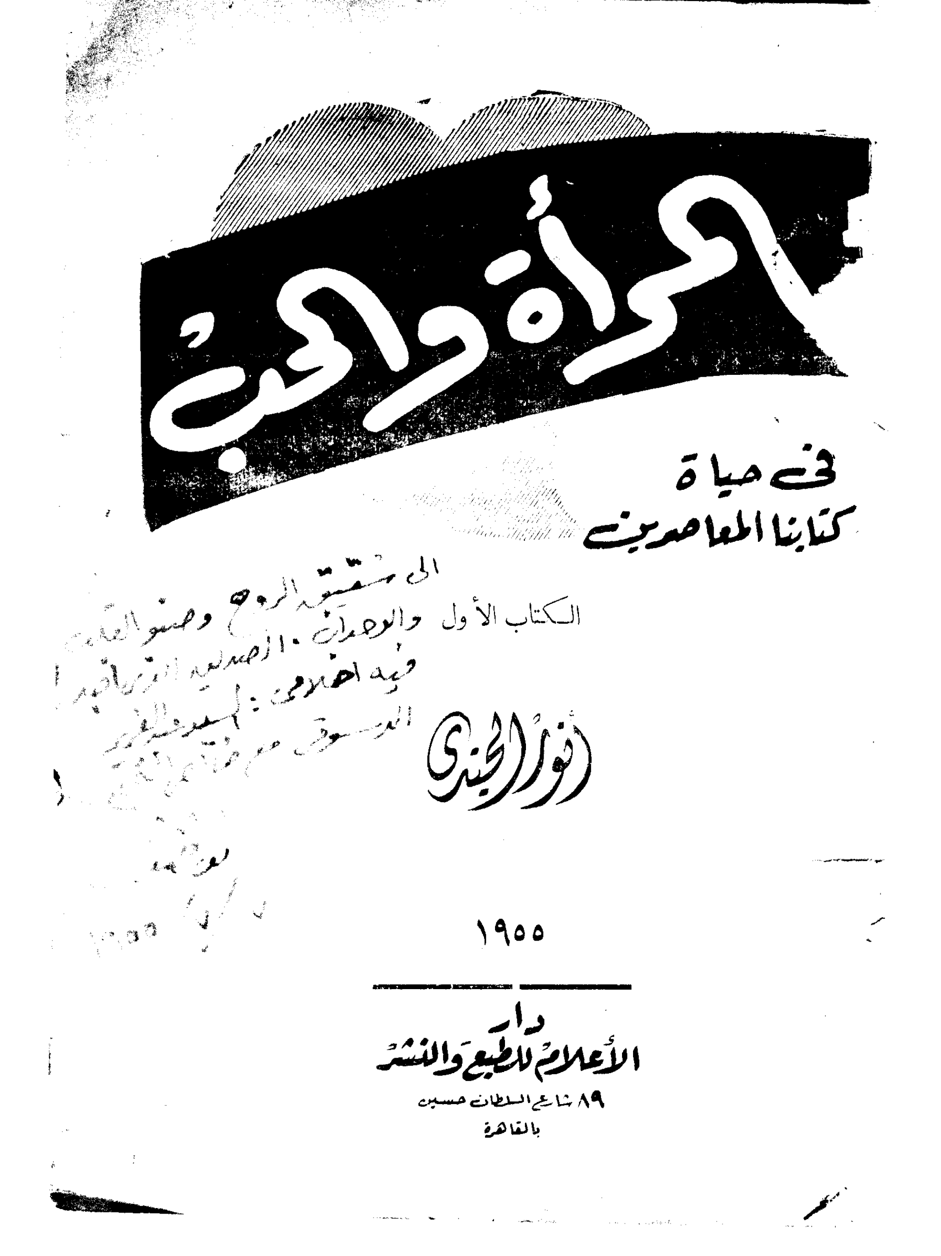
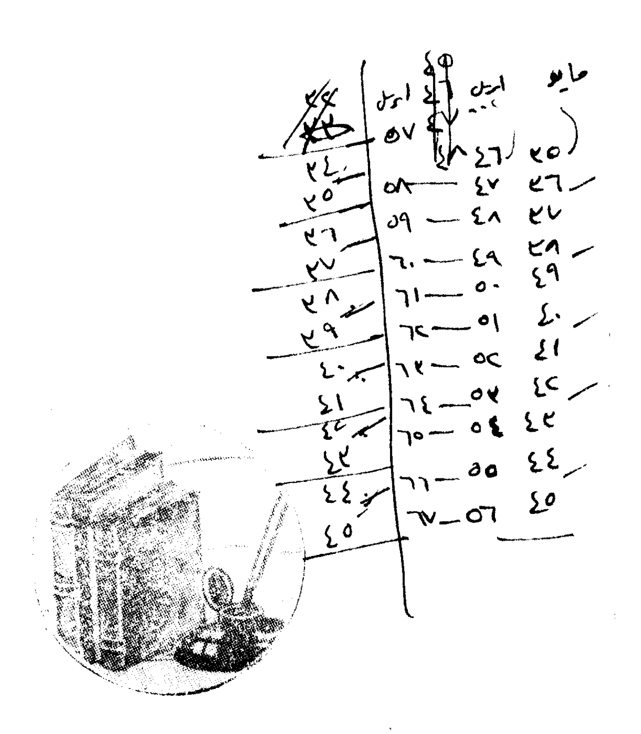

المرأة والحب
في حياة
كتابنا المعاصرين
الكتاب الأول
أنور الجندي
١٩٥٥
دار
الأعلام للطبع والنشر
٨٩ شارع السلطان حسين
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم



عشرون عاما

١٩٣٣ - ١٩٥٣

أكتب مقدمة كتابى الأول هذا — اليوم — وهوأول عمل أدبى أرضى .. ه ، أكتبها فى الأيام التى تسجل عيد ميلادى السابع والثلاثين - ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٤ - وبعد عشرين عاما من كتابة أول كلمة لى فى الأدب .

كانت أول كلمة لى عن « المثل الأعلى » . ونشر لى أول شىء عن حافظ فى عدد أبولو يونيه ١٩٣٢ . وبدأت بعد ذلك أكتب فى الصحف الإقليمية ، كنت أعيش فى الريف ، فى ديروط وصنبو والقوصية وأبى تيج خلال أربعة عشر عاما طوالا ، كانت من أقسى الأعوام على نفسى . . . كنت خلالها أحلم بالقاهرة والصحافة وأتشوف الطريق إلى هذا الأمل الذى ملأ جوانب نفسى . حتى أننى هربت ذات ليلة لأسافر بالقطار إلى القاهرة لأعمل فى صحيفة إقليمية تصدر فى القاهرة هى « الأمانى القومية » . . ومن الصدف العجيبة أن يطبع هذا الكتاب فى مطبعةهذهالصحيفة التى كتبت فيها طويلا سنة ١٩٣٤ ولكنى الآن أنظر إلى هذه الفترة على أنها كانت فترة تحضير لعملى الأدبى كله بعد ذلك ، فقدكنت أقرأ وألتهم ، وكان الوقتالواسع والفراغوالطبيعة الجميلة ، وصباحيات الريف ومسائياته والقمر والليل والساقيه وجداول المياه وترعه الابراهيمية ، كلها كانت تبنى شخصيتى وتدعم طبيعتى الأدبية .

وأنا أعدكتابى هذا هو عملى الأدبى الأول ، بالرغم أننى أصدرت أكثر من عشرين كتاباً — أو كتيباً — كانت كلها صوراً بالطباشير على حد تعبير أخى الدكتورمختارالوكيل ، كانتأعمالاتصلح لأن تكون مقدمات لما بعدها . كانت فيها دفعة الشباب وعاطفته ، وفيها أوهام محتها الخبرة ، وحماسة حورتها التجربة .

حقاً لقد قدمت إلى القارىء عدداً من الكتب فى النقد والسياسة والاجتماع والإسلاميات ولكننى اليوم أنكر ماضى كله ، ولا أحسب هذه المؤلفات ذات قيمة فى تكوين شخصيتى الأدبية . فقد كنت أصدرها تحت ضغط رغبة واحدة ، هو أن أظهر على المسرح الأدبى ، وكنت فى خلال مرحلة من هذه الفترة مرتبطاً بعجلة دافعة ، من تلك العجلات التى نر أنفسنا بها دون إرادة ، أو رغم إرادتنا ثم نتحول عنها ولكن لا نندم عليها..

وهى فى مجموعها تمثل تحولى من حلقة من العمر إلى حلقة ، ومن مرحلة فى الفكر إلى مرحلة ، إنها إحدى علامات الطريق فى حياتى خلال عشرين سنة . تصور تنقلى بين النقد الأدبى الخالص والجرىء العنيف ، الذى كان يتمثل فى مجموعة مقالات نشرتها الإنذار سنة ١٩٣٢ تحت عنوان «معول فى الأدب» . ثم تحولى إلى الإسلاميات واندفاعى فيها وتحولى منها إلى السياسة الوطنية . وكتابى «أخرجو من بلادنا» باجزائه الأربعة كان عام ١٩٤٦ حدثاً بعيد المدى فى حياتى فقد قدمت بسببه إلى المحاكمة وبقى حجر الزاوية ، أو علامة الكفاح ضد طغيان العهد الغابر وأول معول فى هدم الحزبية السياسية التى صنعت بعد ثورة ١٩١٩ .

وفى سنة ١٩٤٩ دخلت السجن فأمضيت فيه العام كله . وكنت قد وصلت القاهرة فى مايو ١٩٤٦ لأشترك فى إنشاء صحيفة يومية كبرى دفعت إليها بثروتى كلها .

ودارت العجلة بسرعة عنيفة ، وانتهت بأن وجدت نفسى فى أواخر سنة ١٩٤٨ فى السجن لأمضى شتائين بين صحراء مصر الجديدة وصحراء الطور .. وكانت فرصة لأتأمل حياتى ونفسى وهدفى . وانتهيت منها إلى أننى كاتب . وان أكون سياسياً أو مصارعاً فى ميدان الزعامة أياً كان نوعها .

وخرجت فى يناير ١٩٥٠ لأبدأ صفحة جديدة : هى صحيفة الأديب الخالص . وعملت فى جريدة «الزمان» وبدأت أكتب فيه وفى الأهرام

والرسالة والثقافة والوعى فلما جاءت الثورة المصرية أحسست أن لجزأ جديداً من الضياء يشرق فى كيانى وأن الآمال العريضة التى كانت تغمر صدرى ككاتب حر قد بدأت تتحقق على صورة رائعة ومضيت أجرد نفسى للأدب والصحافة وحدهما وقد نحيت السياسة جانباً فمالى ولها بعد أن تولاها الأحرار ولكننى تبينت بعد قليل، عند ما احتجبت الرسالة والثقافة فى أوائل ١٩٥٣ أن العمل الأدبى فى الصحافة جهد ضائع. وأن هذا الإنتاج ينطوى مع الأيام ويمضى ولا قيمة له.

وآمنت بأن العمل الأدبى الخالص يجب أن يبدأ. وكنت كلما اقتربت من سن الأربعين أحسست بأننى مغبون. وأننى غبنت نفسى إذ دفعتها فى طريق وطريق. وغفلت عن الطريق الأصيل: الأدب الخالص.

وكنت أنظر باشفاق إلى هذا العمر الذى مضى، وهذه السنوات العشر (١٨) فى حياة الأدب قارئاً وكاتباً. التى مضت دون أن يظهر فى إنتاج واضح المعالم.. وما هذه الكتيبات عن محمود تيمور والمراغى وأعلام الإسلام، وهذه المقالات المنثورة فى الصحف الأدبية والمجلات إلا أعمال غير كاملة. إنها دروس مواضيع لأعمال كبرى قد بدأتها فعلا فأنا أريد أن أورخ الأدب العربى المعاصر على صورة كاملة واضحة جديدة، غير مسبوقة، ولدى من الوثائق والأسانيد والقصاصات ما يمكننى من ذلك إذا أتيحت لى أسباب الرزق والقدرة على النشر.

* * *

ولقد لقيت فعلا من الصحافة والناشرين عنتاً لاحد له. فأصحاب الصحف والمجلات يريدون منك أن تكتب الألوان التى يريدها الجمهور، على تلك الصورة التى نراها من تفاهات الصحف، والطرائف، والساندويتش، والأدب الخفيف، والقصة التافهة.. هذا هو الذى تريده الصحف والمجلات

لتقدمه للقراء . فاذا استطعت أن تفعل حصلت على المال .. ولكنك فى نفس الوقت قتلت نفسك .

أما الناشرين فهم يريدون منك أن تولد عملاقاً حتى ينشروا لك آثارك . لقد كان لى فى وقت واحد . عشرة مؤلفات عند عشرة من الناشرين . وكلهم ماكر . يسوف ويعد ويعتذر ويرجىء . . .

وكان حتماً على أن أشق طريقى بيدى . دون أن أعتمد على الصحافة أو الناشرين ، كان لابد لى أن أطبع مؤلفاتى بنفسى وأقدمها للقارىء وأنا واثق من أننى أقدم له قطعة من ذات نفسى . ومن قوتى وقوت أولادى فلا سبيل إلا هذا . . وقد كان ذلك هيناً على فقد بدأت حياتى دون استناد على أحد ، لم يكن لى فى الأدب أستاذ . لقد كنت أرى الأدب كالحديقة أقطف من كل أنواعها ، ورودها وأزهارها لا أفضل نوعاً منها على آخر . ولكنى امتحنت بالأدباء سنة ١٩٣٢ بعد أن صدرت الرسالة فقد أخذت أرسل لأدباء مصر وكتابها بآثارى وإنتاجى . . عبد القادر حمزة والزيات وزكى مبارك وابراهيم المصرى والدكتور هيكل . .

وأشاح الكتاب الكبار بوجوههم عنى ... إلا واحداً هو : الدكتور زكى مبارك رحمة الله عليه ، فقد بعث إلى خطاباً حاراً يدفعنى فيه إلى القراءة والمطالعة والكتابة وأوصانى بالصبر الجميل ، وكان هذا هو المنار الأوحد فى ظلام حياة الريف . فأحببت زكى مبارك وعشت معه حتى كان أسلوبى يوماً تقليداً له .

ولكنى أحببت بعد ذلك الزيات وطه والرافعى وسلامه موسى وغيرهم ..

ولست أنسى تلك الأمسيات فى ظلال أشجار السرو فى ديروط ، على ضفاف بحر يوسف سنة ١٩٣٠ ونحن نقرأ ماجدولين والعبرات للمنفلوطى ونحفظ عباراته عن ظهر قلب . .

كان الحرمان والريف والشباب اليافع يعمل فى نفوسنا عملا بعيد المدى ،

وكنا نتطلع إلى المستقبل فى خوف وإشفاق . . ولكن الأحداث لم تدعنا انرسم الطريق ، فقد كان مرسوماً لا مرية فيه ولم يكن علينا أكثر من أن نقطعه .

وطالت حياة الريف وكان لابد أن نقول كلمة مدوية سجلها كتابى الأول « عرائس البكارى » الذى صدر فى ٢ أبريل سنة ١٩٣٨

« لست أدرى من أين أبدء حديثى ، إذ أقدم هذه الرسالة الصغيرة ، أننى كلما رجعت إلى ماكتبت من صور الفكر أحسست بأن عملى لما ينضج . وهذا أمر لن يستقر . فسيظل الكاتب ينظر إلى كل ماسلف من آثاره الأدبية نظرة من لا يرضى عنها

ولقد أساء إلى وجودى فى الريف إساءة بالغة إذ حرم على متاع الدراسات العليا والاتصال بمواطن الأدب وأبعد بينى وبين الصحف . هذه الصحف التى لا تعرف إلا الوجوه والتى لا يهمها كتابة ناضجة بقدر ما يهمها الصديق أو الكاتب المعروف لمحرريها ، ولقد مضيت أجاهد فى الظهور غير معتمد على شفاعة أحد .

ولست أنكر أنى قد ضجرت ضجراً بالغاً بعد أن قابلت ، الدكتور زكى مبارك فقد نفرنى من الأدب ورغب إلى أن أعمل فى ميـــدان آخر . وآمنت له أول الأمر وأرغمت القلب العاتى الخفاق بحب الأدب إلى الانصراف عنه إلى دراسة الاقتصاد وقضيت سنة كاملة أدرس هذه المادة باللغة الإنجليزية دراسة قاسية . كانت تطوى وقتى ومالى كله ، .. ولكنى عدت منها بالفشل المبين ! فقد تغلب الأدب على روحى وظنى ، وأفسد على الدراسة إفساداً بالغاً ، وسد فى وجهى المسالك سداً ، وضعفت أنا إزاءه ضعفاً بالغاً ، وعدت أشعر بالوحشة له والحنين إلى موارده .. وانتصر الأدب

ولكنى عدت بقلم صدئ فقد أمضيت عاما كاملا لا أكاد أكتب رسالة عربية إلى صديق ..

لقد كنت عنيت، أول مرة بالحديث عن المرأة والشرق والحضارة .
وتلو، إنتاجى بلون الخيال والعاطفة . واستفاقت فى نفسى رغبات جديدة
فأثرت فى كيانى ، وكتبت فى الوادى قطعاً يومية تحت عنوان « جولات »
واستوى لى بعد أن عرفت الحب فن جديد ، فأنشأت صوراً ذات طابع معين .
صادفت، إعراض الكثيرين عنى ، وقيل لى إنى تنكرت للتقاليد المرعية
وأنتجت فى سنوات ٣٤ — ١٩٣٥ أدباً ذاتياً عنوانه ما يقال من الداخل
للخارج فلما ألححت على دراسة الاقتصاد عدت أكتب النقد وأمعن فى الاتجاه
نحو العقل والبحث العلمى .

هذا حديث أسجله اليوم وثيقة للمستقبل . ويتطور أدبى وتذهب هذه
الصورة فى تضاعيف الأحداث ولا يبقى إلا هذا السجل المسطور وليس من
الخير أن يظل الكاتب صامتاً لا يتحدث عن نفسه ولو فى مقدمة كتاب صغير،
هذا ما قلته سنة ١٩٣٨ أى منذ سبعة عشر عاماً فى أول كتيب لى عن النقد .

حقاً . لقد خرجت من قريتى سنة ١٩٣٣ فى سن السادسة عشرة ، ولم أعد
إليها . أمضيت هذه الأيام رجلا مسئولا أكافح فى سبيل العيش وأتعلم وأقرأ
وأدرس فى المساء ، وكنت فى هذا السن الباكر أعيش فى قرية « صنبو »
لأحصل على أول قرش لاشترى به كتاب « فى أوقات الفراغ » لهيكل

وفى هذا السن بدأت أحب . أحب المرأة التى علمتنى كيف أحب
الحضارة والقاهرة والتى كانت روحها تدفعنى إلى المجد . إنها أمى الروحية
التى مازالت تبارك خطواتى ، والتى أمضيت أكثر من عشرة أعوام أتجنب
رؤيتها حتى ألقاها وأنا قريب من الصورة التى أحب أن ترانى بها .

وكانت السنوات من ٣٢ — ١٩٤٦ سنوات قاسية قلقة مريرة ، كافحت فيها
فى سبيل الرزق والعلم والأدب حتى وصلت إلى القاهرة فى أوائل أبريل ١٩٤٦
وأحسست يومها بأنى قد أنهيت حياة مظلمة وبدأت صفحة جديدة .

وبقدر ما كانت أيامى تلك بطيئة مغرقة فى السأم والملل والكسل ، كانت

أيامي بعد ذلك صراعا وصداماً وارتطاماً ، حتى اليوم ، ذلك لأنني كنت أخشى أن أموت قبل أن أسلم للدنيا إنتاجي وآثاري ، هذا الإنتاج الذي تطور وتحول وتلون مع السن ومع الثقافة ومع التجربة . ولقد كانت الصحافة حائلا طويل المدى بين إنتاجي وبين الحياة بعد أن خشيت أن تدفع أدبي إلى تلك الكتابة الصحفية الباهتة . ومن ثم حجزت أدبي عنها وعشت برئة واحدة حتى ظن الناس أن الصحافة قد قضت على الأدب في نفسي مع أنني دخلت الصحافة من باب الأدب أولا ولكني مضيت أوازن بين عملي الصحفي الذي هو مورد رزقي وبين الأدب الذي هو غاية حياتي فكنت أجعل النهار للصحافة والليل للأدب .. حتى انتصرت ..

وفي فترة ما غلبت على الروح الإسلامية بل الدينية ، ثم تحررت منها ، كما تحررت من الانطلاق وراء المدنية الأوربية ، وبدأت أربط الشرق بالغرب والماضي بالحاضر ، والجديد بالقديم في تناسق ، يتمثل في نفسيتي التي لا تحب الانحراف نحو اليمين أو نحو الشمال ! فأنا أحب الاعتدال والهدوء . وقد مرت بي فترات كنت خلالها ثائراً على الأدب وعلى السياسة وكانت أعصابي تصرخ .. لقد ترك الريف في نفسي جراثيم الحرمان والقلق ورصيد التوجس من المستقبل والخوف من الغد وعقدة التطلع والاستكشاف وتعمق السرائر ..

ولكن الريف أعطاني فرصة التأمل الطويل والقدرة الناضجة في الحكم على الأشياء ، فلما وصلت إلى القاهرة لم ألبث أن نزلت إلى ميدان الصحافة والكتابة ، ولكني كنت مقيداً ، ثم لم ألبث أن تحررت وتجردت للأدب والفكر وحدة !

* * *

لقد بدأت حياتي الأدبية بداية عنيفة ، منذ عشرين عاما ، ولكني تحولت من لون إلى لون . ومن التخصيص إلى التعميم . ومن المطامع المحدودة إلى

الميدان العام . ولقد كتبت فى أكثر من عشرين صحيفة ولكنى توقفت فجأة فى أول عام ١٩٥٤ .

لقد رأيت كل هذا عبثاً وقلت لنفسى ليس هذا هو الطريق ، ولا هو الهدف وكرهت الارتباط بالمناسبة والموعد والصحافة ، وكرهت أن أطلب إلى أحد أن يستكتبنى ..

وحاول أصدقائى أن يدفعونى إلى القصة ، أو أن يحملونى على الكتابة الخفيفة الفكهة ، أدب الساندويتش كما يقولون — ولكنى أصررت أن أقول لا ..

لن أخالف فطرتى ، ولن أندفع مع غير طبيعتى ، مهما يكن ، من فقدان بضعة جنيهات ثمناً لهذه الألوان التى يطلبها الناس ولا تستجيب لها نفسى

إن لى أدبى وفنى ، وموضوعاتى ، وأهدافى ، ولن أتخلى عنها

من يضمن لى أن أعيش حتى أكتب كل ما أريد ، والعمر يتفلت سنة بعد أخرى ، والأحداث تدفع بنا فى عباب صاخب ، هو عباب القدر الذى يرسم حياتنا دون أن ندرى ؛ إن خير ما عندى لم يخرج بعد إلى حيز النشر . إننى كالرجل البخيل الذى ما زال يدفن الجواهر فى الرمال !

واليوم إذ يمر على تاريخ بدء حياتى الأدبية عشرين عاماً أراها على بعد الزمن وقرب الذكرى مرحلة كفاح طويلا فى سبيل الفكر والذوق والثقافة تحول خلالها الكاتب فى المشاعر والسن والفهم وتنقل بين مراحل عديدة مختلفة ، قد تكون متباينة ، ولكنها تحمل جميعها معنى واحداً هو العمل لأداء أمانة الفكر وأمانة القلم . ولكم كان يحز فى نفسى أن مجموعة ضخمة من معارفى يظنوننى واحد من الصحفيين ، لأنهم لم يقرأوا لى أثراً حياً يحدد موقفى بين الأدب والصحافة . لقد عشت بالصحافة للأدب وأن كل لحظة من لحظات يومى التى أملكها إنما هى حلقة فى هذا الطريق الطويل . وبالرغم من مرور هذا الزمن فما زلت أعد نفسى فى أول الطريق . لم أحقق بعد الآمال العريضة

والأحلامّ المخزونة التى تملآ نفسى .. أرانى مازلت فى مبدأ الشوط .

ولقد فكرت طويلا طوال حياتى الأدبية لماذا لم أجد الكاتب الذى يجوز لى أن أقول أننى تلميذ له أو الذى اتخذه أستاذا لى ولكم حمدت الله — عندما بدأت أكتب هذه الموسوعة — أن ذلك لم يقع ، حتى أكون أكثر تجرداً فى الحديث عن أدب الأدباء المعاصرين وإنى لا أجدنى آسفا وأنا أنحت الصخر فى سبيل الوصول إلى مكانى ، دون أن أجد ذراعاً استند إليه .

* * *

أن هذا السفر الأول من موسوعتى عن الأدب المعاصر هو خلاصة دراسات طويلة لأدب روادنا الأولين وكتابنا الذين برزت أسماؤهم وإنتاجهم بعد ثورة ١٩١٩ على وجه التحقيق ، وإن كانوا قد كتبوا وانتجوا قبل ذلك التاريخ وهو عمل جديد غير مسبوق أحسست بمدى حاجتنا إليه ولقد تناولت حياة هؤلاء الكتاب من انتاجهم وآثارهم فى ضوء علم النفس الحديث ، وحاولت أن أصورهم فى أنصاف دون مجاملة أو تحامل. لقد مضيت أقرأ لهم أكثر من عشرين عاما فأحطت بمعالم نفوسهم من خلال انتاجهم وكون هذا الاتصال بينى وبينهم صداقة روحية ، كنت أحس أنها أقوى من معرفتى بهم أو ببعضهم ، معرفة الصحبة أو الالتقاء فى صالونات القاهرة وانى لأرجو أن أكون قد أنصفتهم وآمل أن اؤدى بهذا العمل واجبا فى بناء حياة نقدية وإنشاء دراسة كاملة الأدب العربى المعاصر .

شارع الهرم فى ٥ ديسمبر سنة ١٩٥٤ — أنور الجندى

لطفى السيد



نظلم لطفى السيد حين نضعه مع رجال السياسة فهو من رجال الثقافة الممتازين ولاشك . . . كان رائد الصحافة العصرية ١٩٠٧ عندما بدأ يكتب فى الجريدة مقالاته عن « المصرية » . . فقد أمضى عشر سنوات ليعمل فى الصحافة ، ثم لم يلبث أن انتقل إلى محيط الثقافة فأمضى فيه بقية حياته المديدة إلى اليوم ولم تكن فترة المناصب الوزارية والأعمال السياسية إلا أشبه باللحظات العابرة فى ساعات الزمن المديدة الموصولة بالعمل الثقافى وفى خلال هذه الفترة الطويلة عاش مع الكتاب : كاتبا ومترجما . وعنى أشد ماعنى بارسطو فنقله إلى اللغة العربية فكان ذلك دعامه من دعامات نهضة الترجمة يدين لها الأدب العربى المعاصر بكثير من الفضل .

لقد تأثر لطفى السيد منذ شبابه بآراء تولستوى الذى دفعته سنة ١٩٠٥ إلى أن ينصرف عن الوظيفة ويعيش فى بلده بعيدا عن ضجيج الحياة . ولما لم

يتحقق له ذلك بدأ كأنه يعيش هذه الحياة المثالية التي ملأت عليه أقطار فكره..
فهو منذ سنوات وسنوات يكاد يكون معتزلا الحياة العامة عاكفا على دراساته وحياته الخاصة . ، لا يرضى بها بديلا :

ولقد تصدى لطفي السيد للرأي العام في فترة كانت الحياة الحزبية تأخذ صورة شاقة فقد كانت (الجريدة) تصدر باسم حزب الأمة في الوقت الذي يصدر فيه مصطفى كامل «اللواء» باسم الحزب الوطني . ويصدر على يوسف «المؤيد» باسم حزب الإصلاح . فكان طبيعيا أن يسأل الناس عن أهداف الجريدة وعلى رأسها لطفي السيد . وفي خلال هذه الفترة بدأ كأشد مايكون لمعانا وهو يضع أحجار الأساس للنهضة الفكرية التي سار على طريقها جيل من أبنائه وتلاميذه .

ولقد افتتح لطفي السيد العدد الأول من الجريدة بهذه الكلمة نسجلها لتكون أحد مصابيح الطريق في حياة الرجل الذي تعلم عليه طه حسين وهيكل وعزمى وعبد العزيز البشرى ومصطفى عبد الرزاق وعبد الحميد بدوى « ما الجريدة ، إلا صحيفة مصرية ، شعارها الاعتدال الصريح . ومرامها إرشاد الأمة المصرية إلى أسباب الرقي الصحيح . والحض على الأخذ بها وإخلاص النصح للحكومة والأمة .

لا يكون من أهل الوطن أمة إلا إذا ضاقت دائرة الفروق بين أفرادها واتسعت دائرة المشابهات بينهم . وإن أظهر المشابهات في حالة الأمة السياسية هو التشابه في الرأي بين الأفراد — وهذا مايسمونه بالرأي العام .

والناس بطبائعهم اشتات في الرأي كما قيل (للناس عدد رؤسهم آراء) وهم في البلاد الحديثة العهد بالرقي ينصرف كل منهم غالبا عن التفكير في الأمور العامة إلى تدبير حاجتهم الخاصة حتى ترشدهم الصحف كل يوم إلى أن لهم فوق وجدهم الخاص وجوداً عاما . وأن بهذا الوجود العام كما لا يحب أن يرقى إليه بعمل الإفراد ...

ولاشك أن هذا الأسلوب سنة ١٩٠٥ يدل على مدى طواعيه البيان الكاتب ولقد عاش لطفي السيد في برج عاجي . ولعل قراءاته وإعجابه بتولستوى واتجاهه الفلسفي وضعه بين رجال المنطق فمضى عف الأسلوب ولم يعرف عنه الهجوم ولا الصيال ولا الدخول في المعارك . . . ولعل هذا الطبع الغالب على نفسه في تجنب المزالق هو الذى دفعه إلى أن يزايل الصراع الحزبي عندما بدأت أولى مظاهرة في الخلاف بين سعد وعدلى . .

وفي خلال الفترات القصيرة التى عمل فيها وزيراً كان مثلا عاليا للكرامة والرجولة . فلم يضف إليه أحد مايضاف إلى الوزراء في ذلك العهد ، بل ظل حتى في هذا المنصب هو الفيلسوف مترجم أرسطو والرجل الزاهد في المظاهر والمطامع . ومايلبث حين تتاح له الفرصة لأن يعود إلى صومعته أن يعود . .

ولكن هل مضت حياته في هدوء بعد أن سجل بدء النهضة الفكرية المصرية التى بدأت على صفحات الجريدة . . . لا . لقد أراد أن يسجل شيئاً آخر ، ذلك هو الدفاع عن حرية الفكر حين حمل لواء الذود عن استقلال الجامعة من عنت السياسه الحزبية مما أغضب الرجعيين .

ولقد سجل موقفه من السياسة في مذكراته فقال «وأنا إذ أفكر الآن في كل ماضى السياسى منذ سنة ١٨٩٨ ، أى منذ نصف قرن ، أستطيع أن أقول أنى مادخلت غمار السياسية مرة إلا وأنا أعتقد أن عملى فيها واجب قومى ، يشبه أن يكون فرض عين ، ومع أنى أحب القراءة في كتب السياسة فأنى أكره الاصطلاع بها عمليا . . . »

* * *

لقد شغل لطفي السيد منصب مدير الجريدة بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩١٣ ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى انتهى هذا الدور الفكرى ليكون واحداً من زعماء مصر الذين قاموا في أعقاب الحرب يطالبون بالاستقلال . وانتظم في الوفد الذى سافر إلى أوربا . ولكنه لم يلبث حين ظهر الشقاق

فى الصفوف أن اعتزل السياسة وعكف على أرسطو . وعين بعد مديراً لدار الكتب ، ثم أول مدير للجامعة المصرية . وفتح سنة ١٩٣٠ أبواب الكليات الجامعية للفتاة المصرية وكانت أزمة ذات دوى ، ثم قدم استقالته عندما تدخلت السياسة الحزبية فى استقلال الجامعة ونقلت طه حسين عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف .

* * *

وللرائد الأول للفكر العربى الحديث أسلوب وطريقة فى الكتابة كانت مثار تعليق الناقدين والكتاب فالأستاذ عبدالعزيز البشرى يقول . . « ولطفى يجمع إلى عذوبة الروح عذوبة الحديث . وهو أديب تام يحفظ صدراً من متخير شعر العرب ومأثور أقوالهم ، إلى فقه فى متن اللغة ، ورعاية لدقائقها ، وبخاصة إذا كتب أوحاضر أوخطب . وله فى أبواب البيان والترسل أسلوب خاص به ، حاول كثير من الكتاب أن يتكلفوه فانقطعوا دونه . وهو شديد الحرص على أن لايعبأ بتجويد العبارة ولايتحرى اللفظ الرشيق إذ هو فى الواقع يجهد فى هذا ، رغم عنايته بالمعانى والتكثر من إيراد مصطلح العلماء ، ويتعمل له إلى مادون التعسف» ثم يذهب البشرى إلى تفسير هذا فى نفسية لطفى السيد فيقول : « . . وهذه الصفة فى لطفى السيد إنما تتصل بأخلاقه جملة ، فهو رجل قد أخذ نفسه من كل أقطارها بألوان التكلف ، يتكلف فى مزاح الشباب ثقل الشيوخ ، ويتكلف فى مجالس اللهو هيبة الجد ، ويتكلف عدم الاكتراث لأعظم مايكرثه من الأمر ، بل أنه ليتكلف للكلام « الجاف » إذ هو قد نجم فى بيئة لم يعد يربطها بأهل الريف سبب .

نعم . لقد أخذ نفسه بهذا التكلف كله ، حتى أصبح له طبعا وسجية وأكبر ظنى أنه لوشاء يوما أن يرسل نفسه على سجيتها لتكلف فى هذا كثيرا . . »

هذا رأى فى أسلوب لطفى السيد وهناك رأى آخر لزكى مبارك .

« . . كتابات هذا الرجل لا تصور مايملك من المواهب لأن قلمه أضعف من روحه ولأنه فى سريرة نفسه يتهيب المجتمع وإن اشتهر بالثورة على المجتمع . . . »
لطفى السيد كاتبا رجل هيوب . ولكن لطفى السيد محدثا رجل شجاع ، كان مثله فيما يكتب مثل من يمشى على الشوك . ثم انتقل من التطبع إلى الطبع فكان آية من آيات الحذر والاحتراس .

أسلوب لطفى السيد بطىء الحركة إلى حد الجمود ، وهو خال من البشاشة البيانية ، وليس فى كتابه صفحة واحدة تشهد بأن بيانه من وحى الطبع أو فيض الوجدان .

لطفى السيد كاتب متعمل متكلف ، وهو يجرجر كلامه بتثاقل وإبطاء ولولا البوارق الفكرية التى تلمع فى كلامه من وقت إلى وقت لعد من المتخلفين»
ونحن لانذهب مذهب البشرى ولا مذهب مبارك ولكنا نستعرض آراء الذين تناولوا أدب « معلم الجيل » بالدراسة .

* * *

وغاية مايقال أن لطفى السيد لم ينشر من آثاره إلا هذه المجموعة التى قام على جمعها الأستاذ إسماعيل مظهر بعد كتب أرسطو . ولذلك فنحن حين نريد أن نضعه فى بوتقة الدراسة النفسية المستمدة من آثاره لانجد أى ضياء يهدينا فى هذا السبيل . فاذا أردنا أن نعرف آثر المرأة فى أدبه أجهدنا هذا . ولكن لطفى السيد كان يحب مجالس مى ويشغف بالحديث إليها وهو احد الذين أعجبوا بها وكان لها استاذا وموجها ولا يبعد ان تكون مصدرا من مصادر الالهام فى حياته الوجدانية

ولطفى السيد واحد وأهم من أولئك الكتاب الذين يؤمنون بالعقل الخالص ، فقد وجه نفسه منذ شبابه إلى العلم والثقافة . إذ نشأ صبوراً جلدا يلقى الحوادث غير مزور لها ولا مهمل عواقبها . ولكنه يلقاها فى الوقت نفسه من غير جزع ولا هلع : وهو قد فتح للناس فى الحياة الحديثة بابا لم يسبقه إليهما

أحد فتح باب الجريدة للدعوة إلى المصرية وإلى حرية الرأى وفتح باب الجامعة لإنشاء ذلك النمط الجديد من أنماط الفكر الحر ولقد بدأ مع سعد وعدلى ومع محمد عبده وقاسم أمين ولكن الله أطال فى عمره حتى رأى الحياة الفكرية والاجتماعية تتطور وظل هو يتطور معها حتى وقف على رأس الخالدين فى مجمع اللغة العربية .

وهو يصور وضعه هذا من التاريخ حين يرى نفسه يقطع جيلين كاملين من أول القرن إلى مابعد منتصفه فيقول «وأرانى الآن أشبه شىء بالمصعد إلى قمة الجبل يسلك إليها الطريق التى تستقيم حينا وتلتوى حينا ويلقى فيها مايلقى المصعدون من هذا الجهد الشاق الذى لايخلو من عذوبه ولايخلو من أمل ، ينظر إلى مابين يديه من هذه الطريق التى قطعها ، راضى النفس مطمئن القلب: »

وبعد فيكفى لطفى السيد أن يكون أستاذا ~~لرواد الأدب العربى المعاصر~~

لرواد الأدب العربى المعاصر

طه حسين



لاتستطيع أن تفهم طه حسين أو تصل إليه بمؤلف واحد من مؤلفاته فهو رجل أحب الحرية وكلف بها منذ صباه . وجر عليه حبه لها متاعب كثيرة وكانت هذه المتاعب فى حلقاتها المتصلة عاملا هاما من العوامل التى دفعته إلى أن ينشىء ألوانا مختلفة من الأدب . ويبدع فنوناً متباينة من الأحاديث .

فلقد اصطدم طه حسين بالناس . واصطدم بالحكومات . واصطدم بالملك المطرود واصطدم بالأزهر والأزهريين ، فى مطلع حياته ، وفى شبابه . وفى رجولته . وكان طوال الأربعين عاما الماضية من عمر أدبه ينتقل من مرحله إلى مرحلة ، لايتوقف ولايجمد ولايبهره المجد الأدبى أو تسلمه الشهره إلى النوم العميق .

فهو دائب الإنتاج والإبداع والإنشاء ، يظهر القراء من نفسه وأدبه كل يوم على فن جديد ، وهو إلى ذلك دائب القراءه والمطالعة والبحث . حتى

ليكاد يصرف يومه كله أو أيامه كلها فى بعض الأحيان ، لا يرى أحداً ، وقد أغلق بينه وبين مظاهر الحياة اليومية المتعددة بابا صفيقاً ومضى يعيش حياته الأدبية الخالصة . وبالرغم مما بلغ طه حسين من الشهرة المستطارة ، والجاه الأدبى الضخم ، فانه مازال حريصا على أن يواجه القارىء وهو على أهبة الاستعداد . فهو يحترم قارئه وسامعه ويحرص على أن يتزود له حين يكتب أو يخطب .

* * *

وحياة طه حسين ، سلسلة من المتاعب والاضطهادات ، فهو رجل حر حريص على الحرية فى حياته وفى حياة مصر وفى حياة الأدب العربى . ولذلك فهو لايلبث أن يصطدم بعامل من العوامل المعوقة حتى يثور . فهو ثائر أبداً ، ثائر لايهدأ ولايستقر .

ثار فى أول أمره على أسلوب(١) الأزهر ، ونظمه فى التعليم ودراساته ، وظلت ثورته على الأزهر ممتدة متصلة بعد ان خلف الأزهر ، وبعد أن سافر إلى أوربا ، وبعد أن خلع عمامته وهو فى حركته الأول إلى الغرب ، وبعد أن عاد فوضع كتابه الشعر الجاهلى : وهنا ثارت عليه ثائرة العلماء واهتزت الحكومة وهدد رئيسها بالاستقالة واضطرب أئتلاف الأحزاب .

ثم ثار على الأدب القديم وتأججت المعركة التى كان هو قطبها ، واصطدم بدعاة المذهب القديم وهاجم شوقى وحافظ والرافعى ثم اصطدم بالأحزاب الحاكمة التى كانت تحول بينه وبين حرية الرأى وتنتزعه إنتزاعا من الجامعة . وثار عندما اعتدى على استقلال الجامعة.وأعلن الحرب على عهد الديكتاتورية البغيض الذى حمل لواءه إسماعيل صدقى سنة ١٩٣٠

---

(١) قال أستاذه (وما كفر الفقهاء به الحجاج قوله والناس يطوفون بقبر النبى ومنبره إنما يطوفون برمه وأعواد) فقال طه حسين أنه لم يكفر وإن كان قد أساء الأدب .

غير أن هذه المرحلة الطويلة من الصراع ،كانت قد علمت طه شيئا جديداً علمته كيف يلجأ إلى الرمز والإيماء . وصنعت منه الكاتب الذى يستطيع أن يحتال ليقول مايريد دون أن يقع فى قبضة الحاكم الظالم أو تحت سلطان القانون .

وهنا نفض طه يده من الكتابة السياسية واتجه إلى الأدب الخالص وأخذ يضمن إثارة آيات من القرآن الكريم يقصد بها إلى غاياته ولجأ أحياناً ، بل وكثيراً إلى القصص التاريخى والقصص الإسلامى ليرسم منه صور الصراع بين الجماهير التى تطلب العدل والحكام الظلمة الذين يحاولون استعباد الشعوب

« . . كنا نحتال ماوسعتنا الحيلة فى أن نخدع الحكومة عن أنفسنا . ونجرى هذه الألسنة الصناعية كلاما نلفف فيه آراءنا تلفيفا ، ونخفيها فيه إخفاء .

وما أحسب أن التلميح والتعريض والتوريه والكنايةوالإشارة استعملت فى عصر من العصور الأدبية كما استعملت فى هذه الأعوام الأخيرة . وكانت الصحف تشاركنا هذا المكر أحياناً . وربما أبت علينا فمكرنا بها كما كنا نمكر بالحكومة وأجرينا على ألسنتها ألغازاً نفهمها نحن ويفهمها قراؤنا ، ولا تكاد هى تفهم منها شيئا . وكنا نقول للصحافة والرقابة ولعيون الحكومة وجواسيسها أن هذا كله أدب خالص لاشأن له بالحياة الواقعة ولايتصل بسياسة الحكم من قريب أو بعيد (١) »

وفى هذا اللون تقرأ أحلام شهر زاد ، وتقرأ مرآة الضمير الحديث وهذا اللون من أدب طه يعطينا صورة الأديب الذى يؤمن بالمجتمع ويتصل به ولا ينفصل عنه .

« لا أفهم البرج العاجى ولا أحبه للشخص الذى يحترم نفسه ووطنه ، ولا أفهم أن يرى المفكر اعوجاجا ثم لايحاول تقويمه أو خطأ ثم لايحاول

(١) طه حسين — الاهرام — ١١ — ١ — ١٩٥٠

تصحيحه سواء كان هذا فى الحياة الاجتماعية أو العقلية أو السياسية .، وطه يؤمن بأن الأديب لا يمكن أن يعيش فى عزله عن المجتمع لأن الأدب ظاهرة إجتماعية لا تمكنه من أن يعيش بنفسه ولنفسه .

* * *

وتمثل مراحل تطورات طه حسين صورة واضحة للقلق النفسى الذى يعيش فيه ذلك المفكر الحر وهو يؤمن بأنه يختلف عن الناس ، فقد جرت العادة أن يتغير الناس كلما ارتفع بهم السن فينتقلون من الشمال إلى اليمين ويتطورون من الثورة إلى الاعتدال . أما هو فكان على العكس من ذلك . بدأ يكتب فى السياسة مع المحافظين ومن قبل مع حزب الأمة ولطفى السيد ، ثم مع عدلى وثروت وضد سعد زغلول ، ثم تطور إلى الشمال وفى ١٩٣٢ وجد الأحرار الدستوريين والسعدين وقد ائتلفا وكان يفهم أنه يكتب معهما ثم بغى الأحرار على السعديين مع الوفديين وهنا تحول إلى الوفد . ثم مالبث أن وجد الوفد محافظاً أكثر مما ينبغى ورأى نفسه أشد تطرفا من الوفد .

وتغير فيه شيء آخر هو تصورة للنقد فانتقل من نقد الألفاظ إلى النقد العام ، وايه ذلك نقده للمنفلوطى فى أول الشباب . ورأيه فيه بعد ذلك حين رد إليه فضله وأثره.

* * *

أنشأ طه حسين فنو ناً من الأدب(١) أنشأ الأدب الإسلامى على صورة القصة الأوربية « الميثولوجيا » فكان لو ناً جديداً غير مسبوق ثم اضطرته الاحكام العرفية ، وضغط الحكومات الحزبية إلى إنشاء لونين آخرين ، ظهر أحدهما

---

(١) يقول طه حسين (رأيت الذين يدعون إلى القديم مثل الرافعى والمعارضون للقديم كجبران والريحانى • وكان إن توسطت وجمعت بين القديم والحديث)

فى كتابيه جنة الحيوان ومرآة الضمير الحديث وظهر الثانى فى جنة الشوك وهى نقد للحياة على هيئة الحوار ومرآة الضمير الحديث رسائل وجهها طه حسين إلى بعض من يعرف فى أيام كان يحس أنه يمتحن بالخصومات ممن كانوا أقرب الناس صلة به .

فى هذه الفترة كان يحس دائما بأنه يمتحن بالخصومات ، وقد كانت أقوى هذه الأزمات سنة ١٩٤٨ ، كان فى أوربا ، وكانت كلماته تفوح برائحة الألم والسخط . وقد صور هذا فى كتابة رحلة الربيع « وكنت قد تركت فى مصر شراً ونكراً وإثما . وخرجت وفى نفسى شيء من شرها ومنكرها وإثمها . إنى لظالم للحق ولنفسى حين أحفل بهذه الضفادع البائسة التى تملأ جو مصر نقيقا .

وما الذى يمنعنى حين تثقل على عشرة الضفادع أن أنسل من بينها كما تنسل الشعرة من العين لاخلو إلى روائع القديم واتعزى بجمال الأدب والفن والموسيقى عن قبح السياسة والمنافع وغدر الغادرين ومكر الماكرين وخيانة الخائنين ... ويقول فى نفس الكتاب « .. فنسيت مصر وأهلها ونسيت مكر الماكرين ولهوت عن عذر الصديق ، وعن جحود الجاحد . والنغم من حولى يملأ الجو قد أخذ نفسى من جميع أقطارها . وإذا أنا فى هذه الساعة القصيرة الحلوة كانى أعيش مع إبنتى التى تركتها فى القاهرة ، ومع إبنى الذى أسعى إليه فى باريس »

وقد كان طه فى خلال رحلته تلك قد أزمع ألا يعود إلى مصر إلا حين تدعوه إليها . كانت مصر غارقة فى إحدى أزماتها السياسية العنيفة ، وقد كتب طه فى هذه الفترة كتابه « الوعد الحق » صور فيه أبطال الإسلام الذين عذبوا فى سبيل فكرتهم .

وصاح « توفيق الحكيم » صيحته وردد ماكان يملأ نفوس الناس ودعت الإذاعة المصرية عميد الأدب إلى مصر فعاد وهو أشد حباً لها .. وحربا للطغيان .

فى حياة طه حسين ثلاثة . أوربا وأبو العلاء وحب . وهو متصل بهؤلاء الثلاثة دوما ، دائب الاتصال ، لا ينقطع ولا يتوقف . هومتصل بأوربا طول عامه ، متصل بأدبها وفكرها وأثار كتابها وشخصيات مفكريها وقادةالرأى فيها ، فاذا جاء الصيف ، اتصل بها إتصال حياه ، فقصد إليها وعاش بها ، وتنقل بين أرجائها « اعترف بأن الصيف هو أبغض فصول السنة إلى إذا أقمت فى مصر وهو آثرها عندى وأكرمها على إذا عبرت البحر أو الصحراء فرقيت الجبل فى أوربا أو فى لبنان . ذلك إنى لاأطيق القيظ إلا فى جهد جهيد وعناء شديد ومشقة شاقة تضيق به نفسى ويقلق له قلبى وينعقد له لسانى .

فاذا عبرت البحر إلى أوروبا ، أو نفذت من الصحراء إلى لبنان فالصيف أحب فصول العام لدى وأثرها عندى : وأخفها على نفسى ظلا لأن قمم الجبال تعفينى من القيظ فتردنى إلى نفسى وترد نفسى إلى، وأنا مقبل على القراءة فى نهم لاأعرف له نظيراً فى الفصول الأخرى وإذا القراءة خصبه أى خصب لا أكاد أقرأ المجلة أو الفصل حتى تفتح لى أبواب من التفكير والحس والشعور وإذا أنا فى حاجه إلى أن أتحدث حتى أصحابى وإذا أنا فى حاجه إلى أن أملى حتى أشق على الذين يكتبون عنى والصيف يفتح لى خارج مصر فنوناً من التجارب ويدعونى إلى المشى حتى أتعب واتعب من معى .

ولست أعرف عاما خرجت فيه من مصر أثناء الصيف . وعدت فيه إلى مصر فارغ اليدين . وإنما أنا أخرج من مصر فلا أكاد أستقر هنا أوهناك . حتى يفتح الله على بكتاب أمليه أو بكتاب أعده فى نفسى لأمليه إذا رجعت .

والذين ينظرون فيما نشرت من الكتب يجدون أن أكثرها قد أرخ من قمة جبل أو مدينة من السهل الأوربى . أكثر كتبى بدىء أو أتم فى جبال الالب أو فى لبنان وأقلها بدىء وأتم فى القاهرة ( )»

وطه شغوف بباريس ، وشغوف بالجبل ؛ يكره البحر ولا يألفه «إذا تركت باريس فقلما أفكر فى سواحل البحر ، لأنى أكره البحر واجدفى جواره المل ومشقة لا أحتملها ، إلا أن أضطر إلى ذلك اضطراراً وقد أراد الله ان يلائم فى ذلك بين مزاج زوجى وابنى ومزاجى ، فنحن جميعاً نكره البحر ولا نطمئن إليه . ونحن نكره الإستحمام ايضا .

فأحب ضروب الراحة إلينا هو الإيواء إلى جبل معتدل الإرتفاع نتخير فيه فندقاً مريحا معتدلا رخيصاً كفندقنا فى باريس فنأوى إليه ، لانبتغى إلا طعاما ملائما . وغابة قريبة نقضى فيها النهار او اكثره .. وفراشا وثيرا نقضى فيه الليل كله (١) وقد ظفر الأدب العربى بكثير من الفصول التى صور فيها طه حسين عبور البحر وايام المركب . « . اما سحر الليالى وما فيه من قصف وعزف ورقص ومناجاه ومناغاه فلست احدثك عنه لانى لا اذكر انى شهدته قط منذ تعودت أن أعبر البحر . اما قصاراى فى هذه الاسفار إذا فرغت من العشاء ان أصعد الى الجسر فاذهب عليه واجيء حينا مهما يطل فلن يتجاوز احراق سيجارة أو سيجارتين ثم اهبط الى حيث مضجعى فآوى إليه .

وانا لاأذوق النوم فى السفينة الا غراراً فما اطول ما يكون فى هذه الليالى الطوال بينى وبين نفسى من حديث . أهو حديث حلو ، أهو حديث مر .اهو مزاج بين الحلو والمر . لست ادرى ! لست ادرى . ولكنى اعلم انى احب هذه الليالى وآنس إليها اشد الانس لانى افزع فيها إلى نفسى ، ولانى اجد فيها من الحرية والخلوة مالا اجده فى مكان آخر ولافى زمان آخر (٢)

وفى رحلة اخرى بعد عشرين عاما يقول « وتلقانا حين خرجنا من ثغر

---

(١) « ألوان »

(٢) مجلة الجديد — ٢٨ يناير ٩٢٩

الاسكندرية بحر يعلن الرضى ويسر السخط ويظهر الهدوء ويضمر الثوره وكان البحر ساكنا يتكلف السكون وساكتا يتصنع السكوت قد ابتسمت له الشمس المشرقة فغمرته باشعتها الحلوه الهادئه ورق له النسيم فداعب صفحته بانفاسه الفاترة اللينة وتلقى هو هذا كله متجهما متجملا لايهش له الا فى قصد ولا يبتئس له الا بمقدار(١) وهو يتناول حديث نفسه كلما سافر إلى اوربا ، « انا انسى أو أتناساها طوال فصل العمل فى مصر فاريحها واستريح منها فاذا أقبل الصيف أقبلت معه على فكان بينى وبينها حساب ما أشد يسره حينا وما أشد عسره فى إكثر الأحيان وما يكاد يتقدم الصيف أسابيع حتى أساميها وتسامني وحتى انفر منها وتنفر مني وحتى افر منها إلى ألوان القراءة وضروب اللهو وتنكمش هى فتختبىء فى ناحية ضئيلة خفية فى نواحى الضمير »

* * *

ويتصل بحديث البحر فى حياة طه حسين ، حديث له جلاله وخطره هو يوم أن ركب البحر أول مره ، يوم أن ولى وجهه نحو الغرب « كنت اراني حين تركت مصر لاول مرة شيخاً معمما قد صعد الى السفينة يتعثر فى أذيال جبته وقفطانه اللذين كانا يزيدانه حيرة إلى حيرته الطبيعية التى قضت بها عليه عاهته التى حالت بينه وبين الضوء فلم أكد أصل إلى غرفتى حتى طارت العمة عن رأسى ولقد أريد أن أتذكر إلى أين فلا أجد إلى ذلك سبيلا . كل ما أعرفه إنى خلفتها حين دخلت الغرفة لم أدر إلى حال صارت ولو قد عثرت عليها لحفظتها تذكاراً باقياً ، ولوجدت شيئا من الحنان والحزن والأمل حين آخذ بين يدى ذلك الطربوش الكالح وتلك الخرقة التى ماأظن انها كانت يومئذ ناصعة البياض وخلعت الجبة والقفطان وانا علم إلى اين صارا . منحهما اخى هدية لسيدة كان يألفها فى فرنسا ولست ادرى ماذا اتخذت منهما ودخلت فى هذه الثياب الأوربية فكم ضقت بها وكم ندمت على جبتى وقفطاني

(١) — الاهرام صيف ١٩٤٨

طوال الأسبوع الذى قضيته على ظهر « اصبهان » رحمها الله فقد هوت اصبهان إلى قاع البحر وعبث الموج بأجزائها كما عبث بأجزاء عمتى فى ا كبر الظن(١) »

* * *

والشيء الثانى هو « أبو العلاء »

أحب طه حسين شيخ المعرة وأعجب به . وجعل رسالته الأولى عن حياته وأدبه . فقد قرأ له كل ما كتب . وقرأ كل ما كتب عنه . . ثم لم يدعه بعد ذلك ، بل ظل يتناول شعره وأدبه ، المرة بعد المرة . . كان يجد فيه تعبيراً عن نفسه ، وكان قد ربط بينهما ذلك الشعور الأدبى الفلسفى . وهذه الآفة التى قربت بينهما وهو يصور اندماجه مع أبى العلاء فى هذه الصورة الرائعة ..

«لم أكد أبلغ مدينة نابولى وأنفق فيها يوماً وبعض يوم حتى خرجت للتروض مع أسرتى على سواحل هذه المدينة . وبينما كانت زوجتى وابناى وصاحبى ينظرون إلى البحر والسماء وإلى الجزر والربا . وإلى هذه المناظر الكثيرة المختلفة التى كانت تحدث لهم متعة . وتطلق ألسنتهم بالإعجاب وتثير نفوسهم وتسحر قلوبهم . كنت أحس هذه الطبيعة التى لم أكن أراها ولا أتصورها ولا أعرف لها كنها تدنو منى قليلا قليلا . ثم تنفذ إلى نفسى . ثم تملأ قلبى رضاً وأملاً وحباً للحياة . وبينما كانوا يتحدثون عما كانوا يرون . ويتواصفون بما كانوا يشهدون ، كنت أنا أدير فى نفسى حواراً بينى وبين أبى العلاء موضوعه الرضا عن الحياة والسخط عليها والابتسام لها والضيق بها .

وكان الجو من حولى صافياً مشرقاً عطراً . ولم تكن الطبيعة تتحدث إلى بلسان واحد أو لغة واحدة وإنما كانت تتحدث إلى بألسن مختلفة ولغات متباينة . كانت تتحدث إلى بعبيرها الذى كان يملأ الأرجاء وبطيرها الذى كان يستقبل الليل بأعذب النغم وأشجاه ، وبهذا الهدوء الشاحب الحزين

---

(١) فى الصيف .

الذى يلم بالحياة والأحياء إذا آذنت الشمس بالمغيب وبابتهاج الناس لما يجدون من جمال وبابتئاس الناس لما يشعرون من حزن .

وكنت أسمع هذه الأحاديث كلها فأشتد على أبى العلاء فى اللوم وأعنف عليه فى العذل . وأقول له : إن أيسر هذا خليق أن يرضيك مهما يبلغك مشوهاً ممسوخاً وأن شيئاً خير من لاشىء (١) . . »

فصله طه حسين بشيخ المعرة ، ليست صلة ذلك الطالب الذى قدم رسالته عن شاعر المحبسين ، وإنما هى صلة بعيدة الجذور ، عميقة الأثر فى النفس . فأبو العلاء يرسم أصداء نفس « طه حسين » فى هذا التشاؤم وفى هذه الشكوك وفى هذه الآفاق الواسعة وفى نظراته العميقة إلى الحياة والناس والأحداث .

ولا يمنع هذا من أن يكون طه حسين قد هاجم أبا العلاء فى أول الأمر فان الاراء فى الشباب الباكر لا تأخذ عادة طابع اليقين وإنما تقوم على أساس الظواهر ، تدفع إليها النفس المتطلعة إلى المجد الراغبة فى الاندفاع .

* * *

والأمر الثالث الذى يعرف به « طه » هو حبه . . هذا « الحب » الذى يرسم صفحة رائعة فى حياة هذا الكاتب العظيم الذى يعد نفسه مديناً بما وصل إليه من مجد .. إلى ذلك الإنسان .

« كانت صديقتى أستاذاً لى ، علمها تعلمت الفرنسية . وفقهت ما أستطيع أن أفقه من أدبها . وعلمها تعلمت اللاتينية . واستطعت أن أجوز فيها امتحان الليسانس . ومعها درست اليونانية ، واستطعنا أن نقرأ معاً بعض آثار أفلاطون . على أننى قضيت من عام ١٩١٦ أشهراً ليس بينى وبين صديقى إلا ما يكون بين المعلم والمتعلم ، وبين الصديق والصديق . ثم لم يلبث الحب أن اتخذ سبيله إلى نفسى . وما أظن أنك تطمع منى فى أن أصور لك ما كان يثير

---

(١) مع أبى العلاء فى سجنه .

هذا الحب فى قلبى من عاطفة وما كان يذود عنى من نوم . وما كان ينغص على من راحة . وما كان يضيع على من درس . »

* * *

« كانت حلوة لذيذة تلك الأيام السعيدة من بورسعيد ونابولى آخر سنة ١٩١٥ . لم أكن قد دفعت إلى العودة إلى فرنسا حيث باريس وحيث تلك التى لم تكن قد جاوزت العشرين من عمرها والتى فارقتنى فى مونبليه أول الصيف على أن نلتقى فى باريس إذا أقبل الشتاء ، أكان ما أحمل لها فى قلبى حباً ، أم كان مودة خالصة ، أم كان شيئاً بين ذلك لم أكن أتبينه حينئذ ، وإنما تبينته بعد ذلك بشهرين كاملين .

وكان أحلى من ذلك وألذ ، ذلك اليوم الذى وصلت فيه إلى باريس ، بل تلك الساعة التى طرق فيها باب غرفتى ، ثم فتح ، ثم أقبل على شخص فصافحنى فى قوة ومودة وصراحة ، وجلس إلى ساعة يسألنى وأسأله ويجيبنى وأجيبه . ثم افترقنا على أن نلتقى من غد فما افترقنا منذئذ يوماً . لا ساعة ، ولا بعض ساعة إلا أحسست — شهد الله — فى نفسى ألم الفراق وشوقاً إلى اللقاء(١) »

وهو يحدث ابنته فى بعض حديثه فى الأيام(٢) عن قصته ويصور فضل هذا الحب ، وأثر سوزان .. « فاذا سألتنى كيف انتهى أبوك إلى حيث هو الآن . وانتقل من تلك الحال إلى هذه الحال فلست أستطيع أن أجيبك . إنما هنالك شخص آخر ، هو الذى يستطيع هذا الجواب . فسليه ينبئك . أتعرفينه . أنظرى إليه . هو هذا الملك القائم الذى يحنو على سريرك . لقد حنا يا ابنتى هذا الملك على أبيك فبدله من البؤس نعيما . ومن اليأس أملا . ومن الفقر غنى . ومن الشقاء سعادة .. »

---

(١) فى الصيف . (٢) الجزء الثانى من الأيام

وفى عبارات حارة .. هنا وهناك تحس هذه النفس المحبة الصادقة الحب « .. إن قلبي ليملؤه البر ، ويغمره الحنين حين أذكر ما كنت تبدئين وتعيدين فيه أثناء ذلك من حث لى على الراحة . ورغبة إلى فى الترويض . وإلحاح على فى الاستمتاع بنعيم الحياة وجمال الطبيعة فى جبال الألب . وما كنت ألقى به عطفك من إباء وإعراض .. »

ويمضى طه حسين فى حياته ، ويمضى معه هذا الحب قوياً .. صادقاً ممتداً .. على الأيام .

* * *

وقصة طه حسين ذاخرة ، إنه من الكتاب الذين لهم حياة ، ولكنه كتب هو هذه القصة للناس وأرسلها فيهم . وصور لهم كيف جاء القاهرة فى سن الثالثة عشرة ليختلف إلى دروس العلم فى الأزهر ، كان نحيفاً شاحب مهمل الزى أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى . تقتحمه العين اقتحاماً فى طاقيته التى استحال بياضها إلى سواد قاتم ...

وصور كيف كان ينفق اليوم والأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لوناً واحداً يأخذ حظه منه فى الصباح ويأخذ حظه منه فى المساء .. « يعيش على خبز الأزهر وويل للأزهريين من خبز الأزهر ، ويغمس هـذا الخبز فى العسل الأسود .

* * *

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيئة الجريدة والجامعة . ، فتنت هذه البيئة ، كما فتن غيرها من شباب الأزهر — بالجريدة لأنها كانت تصور لوناً جديداً من ألوان التعبير . لم يكن مألوفاً فى المؤيد المحافظ ولا فى اللواء الذى كان يلتهب وطنيه . وإنما كان فيه شيء من اعتدال واستقامة فى التفكير . وكانت فيه

نبوع خاص نفحه من الجديد حين كان لطفى السيد يتحدث عن مونتسيكيو وفولتير وروسو وجول سيمون . على هذا المنبر

وكذلك التقى الشباب الناشىء بعضهم ببعض . فأخذت الأسوار تنهار بين العمائم والطرابيش . التقوا بالشباب الناضج والكهول والشيوخ من أعلام الحياة المصرية على اختلاف فروعها فأخذ دم جديد فى جيل من المصريين(1) » .

* * *

هكذا بدأ ، ثم مضى فى طريقه ...

إنه يرى هذه الفترة من تاريخ مصر ، فترة خطيرة « أشبه بمنحدر مرتفع ، قد ارتقت إلى قمته جماعة من أعلام الحياة المصرية ، وجعلت جماعة أخرى من الشباب تصعد من أسفل هذا المنحدر تصعيداً يختلف قوة وضعفاً وبين هذه الجماعة من يصعدون تصعيداً سريعاً وبينهم من يصعدون تصعيداً فيه شىء من البطء والاناة . وكان هؤلاء الذين وصلوا إلى القمة ينظرون إلى هذه الجماعة الناشئة المصعدة نظرة فيها كثير جداً من الرفق وفيها كثير جداً من الحب والتشجيع .

... وكان على هذه القمة من هؤلاء الأعلام جماعة لا أظن أنها تضيق إذا ذكرت الآن أو سميت بعض أعضائها . كان على هذه القمة أحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى(1) .. »

أحب كتابين إليه القرآن . واللزوميات . وله هوايتان . الأدب القديم والموسيقى « أما الموسيقى فانى أنصرف إليها عشية كل يوم فأجلس مع زوجتى حول الجرامفون نصغى إلى تصانيف من الموسيقى الكلاسيكية الغربية . فهى

---

(1) من مقال « بعض بيئاتنا الادبية » فى المصور .

(2) مجلة المجمع اللغوى ٢٩ أكتوبر ١٩٤٥

غذاء الروح أي غذاء . ومتعة النفس بعد ساعات العمل المضنى . فالذهن لا يصفو إلا على أنغام الموسيقى .. »

وهو يكتب في كل وقت . ليس من الكتاب الذين لهم وقت معين أو مكان خاص . وقد يفرض عليه أحد كتبه فرضاً ، فيصبح ملزماً به ، يختلس أوقات الطعام اختلاساً . ويقطع الصلة بينه وبين من حوله وأحياناً يكون غاية في الألم الجسماني ، ولكن الأفكار ما تلبث أن تلح عليه فلا يستطيع أن يدفعها .

* * *

وقد عرف طه بالإصرار على الرأى وعرف بالوفاء ، في طبعه الثورة الأزلية الكامنة ضد الجمود ، يزدرى التقاليد ويهشم الحواجز ، ويتمرد على المألوف ، لا يبالى أعجب الناس أم سخطوا ، أم نقموا ، ويقول عن نفسه : « إنما أنا قلق دائماً . مقلق دائماً ، ساخط دائماً ، مثير للسخط من حولى .. »

وعاطفة الرحمة والوفاء تتدفق من قلبه الكبير . إنه ما زال يذكر أخاه الذى فقده منذ خمسين عاما ، وما يزال حتى اليوم يراه في المنام « ذلك الذى ينام هناك وراء النيل »

وحين تحدث عن « أمه » كتب أبرع صور الوفاء « .. ويظهر أنه لم يحب أحداً بلا قيد ولا شرط كما أحب أمه الغالية ، ولم يثق بأحد كما وثق بقلبها الرقيق(١) .. »

وتحدث في إثارة عن الشمسى وثروت وعدلى بأسلوب غاية في الوفاء والحب ، وهو يوفى لصديقه عبد الرحيم محمود فيقول : « لعلى لا اعدو الحق إذ قلت إنى مدين له بأحب كتبي إلى نفسى وأثرها عندى وهو ذكرى

---

(١) زكى مبارك .

أبى العلاء . وكل ما كان يمكن أن يقرأ عن شيخ المعرة من المطبوع والمخطوط.
كان يقبل على دارى مع الشمس وينصرف عنها حين تغمر القاهرة ظلمة الليل
وكان يقرأ على شعر ابى العلاء ونثره متغنياً فهما مترنحاًبهما ، فلما فرغنا من
القراءة جعلت أملى وجعل يكتب . وما هى الآن يقبل شهر ابريل سنة أربعة
عشر وتسع ومائة وألف حتى كان بين أيدينا كتاب ذكرى أبو العلاء تقدمت
به إلى الجامعة ونلت به درجة الدكتوراه ولم أذكر أنا عبد الرحيم ولم يذكره
الذين منحونى تلك الدرجة . ولم يذكره الذين احتفلوا حينئذ بأول من تخرج
من الجامعة » .

* * *

بدأ حياته الفكرية بثورة « الشعر الجاهلى » وبأحاديث الاربعاء وكلها
تدور حول العلم والبحث العلمى :

ثم لم يلبث طه أن تحول الى الادب الوجدانى . إلى رسم صورة حياته
ثم انتقل إلى السيرة فبدأ يكتبها على هذا النحو الجديد .

وكان لا بد أن يصل طه الى هذه المرحلة من الاستقرار تجاه اللون الذى
يمثل شخصيته وطبيعته . ومذهبه فى هذا هو ماسجله فى مقدمة كتابه على هامش
السيرة ... وهى أن تكن أساطير يضيق بها العقل . وياباها المنطق فليس
العقل فى الادب كل شىء وليس العقل فى الحياة كل شىء .

ثم لا يلبث طه أن يجمع بين هذا اللون القصصى وذلك اللون العلمى حين
يكتب عن عثمان وعلى فقد تناول المادة التاريخيه تناولا فنياً فصاغ منها هذه
الصورة الممتعة .

وقد كون فيه هذا الاتجاه الأصيل ماقرأه فى مطلع شبابه من قصص الأساطير
فى الأدب العربى من سيف بن ذى يزن إلى الأميرة ذات الهمة ثم دراسته
للأساطير اليونانية وحياة الهه الأولمب .

وقد أحب طه اليونان ، وهو يرجع نزعته هذه إلى رواية ألفها الشاعر أحمد شوقى واسمها « ورقة الآس » .

ومن حياته فى الريف ، والرؤى المذخورة فى أعماقه كتب دعاء الكروان. وشجرة البؤس .

ولا يستطيع مؤرخ طه حسين أن ينسى فصوله التى كتبها فى الأهرام صيف ١٩٤٨ « طير البحر . الطبيعة الساخرة . الحرية الحرة . بين مؤتمرين »

* * *

وأبرز ما يتميز به طه أنه لم يهجر الأدب يوماً . ولم تحل الأحداث بينه وبين هذا الفن الذى أحبه ، كما فعلت مع غيره . وفى السنوات التى ولى فيها وزارة المعارف ، كانت له قراءات متصلة . . « ومع أن الوزارة صرفتنى عن القراءة فى كتب القدماء فهى لم تصرفنى عن القراءة فى كتب المحدثين . فقد مضيت فى هذه القراءة الحديثة التى خصصت لها دائماً ساعات الراحه من النهار »

. . وهو لم يرض عن نفسه وزيراً ، فقد كانت طبيعة الأديب تغلب عليه وتدفعه إلى طريقها . . « ومالى لا أذمى الوزارة وقد لقيت فيها عناء وشقاء . وما رضيت فيها عن نفسى قط وإنى لأشقى الناس حين أرضى عن نفسى ، فما يرضى عن نفسه إلا رجل قد فرغ من الحياة أو فرغت منه الحياة . . »

وهو بطبعه لا يحب كلمة الغد « . . أبغض شىء إلى أن أحاول تعرف ماسيكون عليه أمرى فى غد . أنا لا أفكر إلا فى أمس وفى اليوم . وتفكيرى فى أمس أكثر من تفكيرى فى اليوم.

و . . إنما أحب الكتاب أثناء كتابته ثم يكون أبغض شىء إلى . وكتابى ملكى ما دمت أمليه ثم لا أعرفه . . »

* * *

ونعل طه من أكثر كتابنا أثراً وذكراً فى الأدب الأوربى . فقد تناوله مؤرخو الآداب الحديثة بالدرس وترجموا آثاره . وكان آخر هذه المحاولات

كتاب رونالد روبنسون الذى كتب عنه من بين « أهم مائة رجل فى العالم اليوم(١) » .

ولا شك أن طه حسين من أجرأ كتابنا . وأشدهم حماسة وثورة . وهو غاية فى الجرأة حين رسم حياته وكشف عنها على هذه الصورة الرائعة . . وكان أقوى المصارعين فى ميدان السجال بين القديم والجديد . وأزمات الشعر الجاهلى . وعهد صدقى . وعهد إبراهيم عبد الهادى . كلها حلقات متصلة من الصراع . .

لقد أصدر طه حسين عدداً من الكتب والآثار وكلها حلقات من تاريخ زاخر متصل . متجدد . فيه ذلك القلق . وذلك الطموح . وتلك النفس الراغبة إلى أن تفاجىء الناس بالجديد . وتهدى إلى الثقافة والفكر آثاراً حية خصبة رائعة ، وتقدم إلى المثقفين فى الشرق اقباساً متوالية من ضياء الحكمة والحرية .

(١) سنة ١٩٥٣ .

محمود تيمور



ولد فى العقد الأخير من القرن التاسع واستشرف مطالع الشباب والنضج فى الوقت الذى وضعت فيه الحرب أوزارها ، وتفتحت معالم روحه وحاسته الفنية فى « بؤرة » الثورة المصرية . وقضى أيام شبابه بين درب سعادة . وعين شمس . ونشأ فى بيئة كلها ورق وأدب وصحف وشعر .. حيث كان والده « أحمد تيمور » يعقد صالونه ومن حوله أقطاب الرأى وقادة الفكر . .

ورأى عمته عائشة التيمورية واستمع إليها وقرأ لها . وشاهد «محمد تيمور» وهو يتطلع إلى المجد .

مرض فى أول شبابه « بالتيفوئيد » فلزم فراشه ثلاثة أشهر ، فكانت فترة حضانة لأفكاره واتجاهاته . فتحت له أبواب المطالعة والدرس ، وأتيح له أن يعرف « موباسان » ويحبه ويتعشق آثاره فيتعمقها « مما لا ريب فيه أن حادث المرض كان بداية طور جديد فى حياتى الأدبية نقلنى من دور التردد إلى دور اليقين ، ومن دور الإلمام والهوادة فى التحصيل إلى دور الجد فيه والاستيعاب[1] . . »

---

(١) المصادر التى ألهمتنى الكتابة ـ كتاب « شفاء الروح » .

ثم سافر تيمور إلى أوربا ، وأمضى فترة تزيد على العامين بين سويسرا وباريس . فكان هذا من العوامل البعيدة الأثر فى تكوين شخصيته «تفرغت للقراءة واتصلت بالأدب الأوربى أقرب اتصال . وطالعتنى أثناء إقامتى هناك مرئيات ومناظر هزت نفسى وتغلغلت فى صميم قلبى . كما أن خبرتى بالحياة ومعرفتى لها قد اتسعت وتنوعت ، فكان لهذه الحياة الجديدة التى عشتها هناك أثر لا ينكر فى تطور تفكيرى . . »

وثمة شىء آخر ، كان له أثره فى تكوين شخصية محمود تيمور . ذلك هو المرض . لقد تألبت على الأمراض منذ الطفولة ، وأذكر بالخير طبيبى الأول فقد كان يجمع بين الطب والطيبة ، أى بين العلم والصداقة ، فلم يكن يداوى الجسم وحده ، بل يداوى معه النفس . كان طبيب الطفولة هذا رجلا نحيفاً ذا طربوش أفطس ووجه أسمر مهزول . ولا أدرى لماذا يخطر ببالى كلما شاهدت صورة « دون كيشوت » هذا الطبيب أو بالأحرى هذا الصديق .

. . منذ الصغر والعلل تتردد على حتى ألفتها الآن وأصبحت غير غريبة عنى . منذ سنين طويلة . وأنا فى رقابة الطب فى مأكلى ومشربى ، وفى نومى ويقظتى .. وهكذا كنت أحس فى أعماق نفسى بنقص يحتجرنى عن الاستمتاع بما ينعم به غيرى ، هذا النقص يدفعنى ولا يزال يدفعنى إلى أن استكمل فى الخيال ما عجزت عنه فى الوقع(١) .. »

هل كان هذا المرض القابع فى الأمعاء ، بعيد الأثر فى شخصية محمود تيمور وأدبه .. « أنا أحرص أول ما أحرص على ألا يعكر صفو هذا الجو ذلك المعكر الأعظم .. وأعنى به المرض الذى اتخذ معدتى محلا ممتازاً له يبعث إلى منه بمعاكساته النكدة ، فلا يعنينى حين أجلس إلى مكتبى أن أتفقد القلم والقرطاس بقدر ما يعنينى أن أتفقد أعوانى الأمناء من علب وحقاق

---

(١) شفاء الروح .

وقوارير . فهذه علبة الإسبرين ، وهذا حق الميكربونات ، وتلك قارورة النعناع . . . »

ومع ذلك فأنت حين تطالع آثار محمود تيمور تجد صورة من الهدوء المطبوع ، والعاطفة الخصبة ، والبساطة الواضحة .

تقرأ له فترى روح البشاشة والفرح والمرح ، تكاد تنتظم أدبه جميعه روح التفاؤل والإشراق . فلا انطواء هناك ولا تعقيد ولا تشاؤم . . تجد عنده التفاؤل بالأشياء والطبيعة والناس ، وتجد عنده الأضواء المشرقة لا الظلال القاتمة .

وتبدو « حياة » تيمور هادئة مطردة من وراء أسلوبه وفنه ، وليس بها مغامرات أو فجوات ، ويبدو هو شديد الحيوية ، تزاخر المشاعر ، يسكب نفسه على الورق فى صراحة ووضوح .

وأنت ترى أناقة ملبسه حين تطالع أسلوبه الأنيق . ولكنك لا تلبث أن ترى روح « الشعبية » واضحة ، فيخيل إليك أنك ترى تيمور وهو يختلط بالحياة ويشاهد ويسمع ويتأمل . .

لا يضع تيمور على عينيه منظاراً أسود حين ينظر إلى الحياة ، أو حين يرسم الحياة . . بل على عكس ذلك تماماً . . تراه مشرق النظرة يتوسم فى الحياة الضياء والنور والطلاقة ، ويرى أبهى جوانب الحياة : الحب والجمال .

« . . إن النزعة المسيطرة على الوجود هى النزعة الخيرة ، وأن بذرة الخير أصيلة كامنة فى تلافيف هذا العالم ، وهى التى تسير به دائماً إلى هدف معين ، هو منفعته ورقيه . وبذرة الخير موجودة فى كل الكائنات صغيرها وكبيرها ، حقيرها وعظيمها . . فهذه الذرات التى يتكون منها جميع ما فى العالم من كائنات مكونة من كهارب يسير بعضها حول بعض . وتسير حول نفسها فى حركات هى أوفى ما وصل إليه النظام والتناسق . أى أرقى ما وصل إليه

« الجمال » وهى فى حركاتها متماسكة بقوة الجاذبية ، أى بقوة « الحب » ..

* * *

وهو فى مجموع ما كتب رجل مثل عليا يحب زمهرير الحياة ، ويغرم بالصحراء ، ويحب الاجواء الهادئة الساكنة التى تعيش على الإنتاج ويذهب فى البلاد طولا وعرضاً . يستقصى ويبحث ويتصفح الوجوه . يرى جمال الكون عند بحيرة « ليمان » وشامخات العمائر وناطحات السحاب فى نيويورك ويستمع إلى هدير الأمواج الصاخبة عند شلالات « نياجرا » ويستشف روعة الطبيعة فوق صخور لبنان فاذا دخلت « صومعته » أو حرمة المقدس طالعتك التماثيل الثلاثة التى استوحى منها قصصه « فرعون الصغير . بنت الشيطان . إحسان لله .. » وهو معجب بهذه التماثيل ، مشغوف بها . وهو يربط بين قلبه وفنه بوشائج عاطفة صادقة حين نقول « ربما كان حكم الكاتب أيسر مثل نضربه ، فيه يتبدى ذلك الضرب من إحساس الفنان بالجماد فقد تتوثق الألفة بين الكاتب وقلمه فلا يبغى بديلا به ، وإن بلى فى يده » .

* * *

وتبدو حياة تيمور وليس فيها أحداث ضخمة ، أو مغامرات جريئة . إلا حين امتحنه القدر بفقد ولده الذى لا يحب هو أن يسميه .

لقد هز الحادث تيمور هزاً عنيفاً ، ولكنه استطاع أن يستمسك وأن يصد .. وكان من أثار هذا المصاب كتاب خالد هو « أبو الهول يطير » حيث يبدو تيمور فى صورة الصوفى المؤمن .. حين يطلق نفسه من كل قيد ، ويصور الآمة فى حنان بالغ .

« .. لقد تطايرت من بيننا ، يا بنى ، كما يتطاير العطر من قارورة رفعت سدادتها فلم نعد نراك بأبصارنا ، ولكننا ظللنا نشمك طيباً تشيع فيما حولنا من أجواء .

أي بني .. ها هو ذا كل شيء قد اختفى من حولنا . فلم يعد إلا أنت وأنا وحدنا . لقد تزايلت أصوات الأحياء بما تحمل من تحية وتوديع وبقيت أنت . أنت الوحيد الذي ما زالت أراه . إنك ماثلا على الرحاب والآفاق . وإني لأحس وجودك إحساساً كله صدق ويقين . حقاً أن الموت لأعجز عن أن يفرق بين حبيبين .. »

* * *

أعتقد أن « الرحلة والسفر » من أهم المؤثرات في تكوين محمود تيمور الأدبي فهو قد تردد على أوربا في خلال ربع قرن مرات متعددة . وتركت في نفسه ، جبالها ومناظرها وجمالها أثاراً لونت قصصه وآثاره .

« جلسة رخية تجاه بحيرة ليمان .. في لوزان .

اتطلع إلى هذا المشهد الخلاب الذي يتألق لعيني تحت أشعة الشمس وأرى القرى تتناثر على الشواطىء ممددة في صعودها على سفوح الجبال . تكتنفها المروج والغابات .

لبحيرة ليمان خصائص عجيبة ، إنها متحولة متبدلة . لا يستقر لها حال فهي تتشكل وتتلون وفقاً للجو في تطوره واختلافه . هي في بواكير الشروق غيرها في وهج الظهيرة .

وهي في ذلك الوهج غيرها في فترة الأصيل .

وكأنما هي تخلق خلقاً جديداً حين تنسدل أستار الظلام أو تتكاثف أطباق الضباب .. »

وفي الاقصر ، وفي نيويورك ، وفي باريس ، وفي لبنان تجد محمود تيمور متأهباً ليسجل خواطره .. يقول « لم أر منظراً بديعاً وقعت عليه عيناي إلا وضعته في مذكراتي وأنا نشوان به . ولطالما جذبتني زوجتي من يدي وقالت لي : « لقد جئنا للترويح عن النفس لا لكتابة المذكرات » .

يقول محمود تيمور أن الشخصية التي أود أن أكونها وأن أعيش حياتها هي شخصية « أمين بك » الملقب بالمملوك الشارد ..

حسبنا أن نتأمله هائماً في مزدحم الحياة يجالدها وتجالده وتدفع به أمواجها صاعدة هابطة . وهو منتعش بذلك الذي أصابه دون سواه في تلك النكبة العارمة التي لم تبق من زملائه ولم تذر ولعل ما حببه إلى وأغرمني به . هو تلك الصورة الغامضة التي اختتم بها حياته . صورة الفارس الجسور الذي كان له وحده دون زملائه المماليك جميعاً حظ الإفلات من منجل الموت الحاصد » .

* * *

وأحب كتب محمود تيمور إليه هو « أبو الهول يطير » .. « فقد أحسست إنني أكتبه بدمي ، وأنا أودعه شعوري الصادق عن رحلتي إلى أمريكا .. » .

أما القصة التي يحب أن يكتبها فهي قصة النيل » بوصفه آلها من آلهة الأساطير . فإن قصته خالدة شابت مع الزمن وستبقى إلى الأبد » .

* * *

لا تعطينا آثار « محمود تيمور » شيئاً واضحاً عن حياته الوجدانية ولعل طبيعته المعتدلة الهادئة . جاءت على نفس النسق في العاطفة أيضاً فلم يكن من ذوي المغامرات أو الذين أحبوا حباً من ذلك النوع العنيف الحاد ولكنه يؤمن بأن المرأة ملهمة الأديب والكاتب « المرأة ملهمة الأديب والفنان في كل مكان ، فكيف يشذ الأمر في مجتمعنا المصري . وأن البحث الدقيق في حياة الأدباء والفنانين ليكشف عن جوانب فيها للمرأة وحي وتأثير خاص أو عام . والأدب في خصائصه وظواهره يختلف قبل خروج المرأة إلى مجالي حياتنا الاجتماعية عنه بعد خروج المرأة ومشاركتها في الحياة العامة . فقد اتسم الأدب في الماضي بالحرمان والكبت والتظاهر بالتحشم والتوقر اما الآن فيتسم بالحرية والصراحة والانطلاق ، فهو اليوم أدب سفور ، للمرأة فيه تأثير إيجابي ، وكان بالامس أدب حجاب ، للمرأة فيه تأثير سلبي . ومن هذا

يتضح أن الادب متأثر بالمرأة على أية حال(١) » .

ويسير على نفس نهجه فى الاعتدال حينما يؤمن بالزواج ويرى أنه ضريبة الحياة « على الشباب أن يبادر إلى الزواج متى كان فى مستطاعه أن يتحمل تكاليف الاسرة ويضطلع بما لها من تبعات فتلك هى ضريبة الحياة وذلك هو الحجر الاساسى فى بناء المجتمع .. »

وهو مؤمن بأن الزواج لا يحول دون المجد « وليس يحول الزواج دون المجد ، وربما أعان عليه » .

وهذا كله يعطينا صورة من رجل سوى الخلق . سليم الرأى فى الحياة الاجتماعية . لم يعتزل الحياة الزوجية . ولم يندمج فى التجارب العنيفة . وبقى على اعتداله وبعده عن الإسراف .

* * *

بدأ محمود تيمور حياته بقراءة ألف ليلة ، وجبران . وعيسى بن هشام وصدرت « زينب » أول باكورة قصصية مصرية فأعجب بها .. ثم اتجه إلى موباسان وتشيخوف وتورجنيف ..

وهنا أنتج أول إثارة سنة ١٩٢٥ « الشيخ جمعة » و « يحفظ فى البوستة » وفى خلال ربع قرن تحول اتجاه محمود تيمور القصصى وتنوع .

تحول من القصة القصيرة . إلى الطويلة . ثم إلى المسرحية ومن الواقعية إلى التحليليه .

ويقول نقاده أن قصة « الاطلال كانت ثغره بين مرحلة الواقعية ومرحلة السيكولوجيه(٢) .

ولعل تيمور قد رسم فى قصة الاطلال صورة حياته فى مطلع شبابه حينما تدفع الثورة الكامنة المتأججة ، إلى الخروج من حالة القلق والحيرة إلى عالم

---

(١) فى حديث مع المؤلف : الصباح ٢٧ - ٣ - ١٩٥٣ .

(٢) محمد ابن حسونه

الجسم وجحيم الشهوة(١) ؛

ويقول تيمور أنه يقرأ المقالة أو القصة أو الخبر في إحدى المجلات فتكون نتيجة ذلك أن يخرج بموضوع جديد لقصة جديدة .

وهو لا يكف في سبيل فنه عن الإتصال بالمجتمع ، التغلغل في أعماقه . وقصة « عم متولى » استوحى الكاتب موضوعها من مشهد لفت نظره أثناء جولاته في أحد الأحياء الشعبية لرجل يبيع اللب والفول السوداني

ويقول الدكتور طه حسين أن محمود تيمور يصدر عن طبيعته دون تكلف . فاذا لم تجد في قصصه هذا اللون أو ذاك ، فانما هو يستجيب لطبيعته الهادئة المتحرزة الوقورة ، التي عاشت في كنف التقاليد ورعاية الأوضاع . وبعدت عن النزق والاندفاع في شبابها وراء المطامع والأهواء . وهي إذا اتجهت نحو الحب أو الإعجاب بالجمال ، فانما تدخل هذا الباب مستأنية مترفقة متوقرة .. أو قل متحفظة »

* * *

ومحمود تيمور في آثاره الأخيرة ، في فترة استكمال أدوات الفن ، وتبلور الصور والمعاني ، والوصول إلى السن التي يعرف الكاتب فيها معالم طبيعته « يتخذ منحى التحليل النفسي المستفيض للكشف عن البواعث الخفية التي تدفع بالأبطال إلى مايقومون به من أعمال دون الوقوف عندما يبدو من الأسباب الظاهرة لهذه الأقوال التي تجرى على ألسنتهم أو التعليلات التي يتذرعون بها لتبرير مايقومون به »

وبدأ في قصصه اليوم « اليوم خمر » و « حواء الخالدة » يلتهم الأجواء التاريخية دون أن يتخذ من مادتها أو أساطيرها دعائم قصصية .

ومن التاريخ الإسلامي « ابن جلا » وعنترة وهو فيها « يستجلي بواطن

---

(١) أمين حسونة .

هذه الشخصيات ويصور نفسياتها ويحلل تصرفاتها وينتزع منها نماذج إنسانية حية بغرائزها الخالدة »

«وهو يستجيب إستجابة طبيعية لما يجرى حوله . وقد ضمن مسرحياته ألوانا من هذه الإستجابة القوية . وقد أوحى إليه العهد السياسى البائد فى مصر مسرحية عنيفة هى « المزيفون » صور فيها الحالة العامة قبل الثورة الحاضرة »

وفى مسرحياته «كدب فى كدب » أشطر من إبليس » قنابل صور جوانب من المجتمع وحلل طبائع من الناس على وجه يدل على كفاية واضحة فى فهم السرائر والشمائل .

أحمد حسن الزيات



أخرجته المنصورة بلد الشعر والجمال، وتفتح شبابه على ضفاف النيل . حيث تغدق الطبيعة فى العطاء ، وتنثر العطر والندى فى طريق الفن والشعر .
وكان فى الأزهر أحد ثلاثة أقاموا مدرسة التمرد على القديم « طه حسين — الزيات — محمود زناتى »

وخلف الأزهر غير نادم ، وتعلم الفرنسية ، وسافر إلى فرنسا سنة ١٩٢٥ حيث درس القانون والآداب .
ومن جمال المنصورة وبلاغة الأزهر وثقافة الفرنسيين بزغ أدب الزيات ناعما هادئا .

وبدأ الزيات حياته مدرسا ١٩١٧ وقد طال اتصاله بالتعليم إلى أن أنشأ الرسالة سنة ١٩٣٢ وهو لم يتصل بالصحافة على غرار طه حسين والعقاد وغيرهما فلم يكن من طبعه هذا اللون من الصراع السياسى ، وإنما كان أديبا تجرد

الأدب والحب والجمال وقد ترجم فى خلال هذه الفترة روفائيل وآلام فرتر ووضع كتاب تاريخ الأدب العربى .

وفى خلال فترة العشرين عاما ١٩٣٢ — ١٩٥٢ كانت « الرسالة » هى المجلة الادبية الاولى فى الشرق . ولها أثرها البعيد فى تطور الادب خلال هذه الفترة .

* * *

أبرز ما يأخذ بالبال أن « الزيات » رجل هادىء كالجدول الرقراق ، كلما اتصل قلمه بموضوع ما ، لاترى فيه الحماسة الفوارة ولا العصبية الهائجة ولا الجرأة الجريئة . لست أدرى هل السر فى هذا أن الزيات بدأ كتاباته هذه التى نشرتها الرسالة وجمعت فى « وحى الرسالة » فى سن مرتفع . فى حوالى الاربعين ، وهى سن تعطى الكاتب التركيز والاعتدال والرسوخ .

ولسنا ندرى لو أن الزيات كتب واتصل بالحياة وبأمور المجتمع قبل ذلك بعشر سنوات هل كان يبدو هادئا أم ثائراً .

لكن الذى يمكن القطع به أن الزيات هادىء بالطبع ليس راكداً أو آسنا ذلك أنه فى سن الخمسين وبعدها قد تناول الكثير من الموضوعات فحملها الكثير من الحماسة النابضة بالحياة بالرغم من الهدوء الواضح فى مظهرها .

ولكن الزيات إلى هذا كله لم يكن ثائرا . ولم يكن من كتاب الأدب الانقلابى كطه حسين مثلا ولم يكن عنيف النقد كالعقاد وهو إلى هذا الهدوء معتدل . متزن . مترفق على أسلوب المدرسة الفرنسية وعلى طريقة الصالونات . . .

وإذا قلت أنه عاطفة متحركة فأنت لاتعدو الحقيقة أنه مفتون بالجمال ، تمتزج فى بيانه الروعه والجمال والحسن والفن . أنه هو الرجل الذى خلق مدرسة جديدة فى الادب تعنى باللفظ المونق والعبارة العالية . وهو الذى

جدد روح الادب العربى . لقد بدأ حياته كما يبدأها أى شاعر بالحب وترجمة آلام فرتر ثم عندما بلغ سن الرجولة العاملة نقل الحب من الذاتية إلى الموضوعية يقول الزيات « لماذا ترجمت فرتر ؟ » فى ١٩١٩ كنت اجتاز هذا الحين.شباب طرير حذ بره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع فى دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده واحساس مشبوب يتوقد بالخيال وقلب غريب يتحرق ظمأ إلى الحب فالطبيعة فى خيالى شعر وحركات الدهر نغم وقواعد الحياة فلسفة وكيان فهمى لكل شيء وحكمى على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أبوته الخيال وغذور تأثيه المثل الاعلى ثم فى هذه الحال التى وصفت دوى دخيل هادئ ولكنه ملئ فصحوت منه فى فيض سماوى من النشوة واللذة وأحسست أن وجدانى الخالى قدامتلأ وقلبى الصادى قد ارتوى وحسى الغائر قد سكن ورحت اسلك هذا الطريق السحرى محمولا على جناح الهوى حتى ذكرنى الزمن الغافل فقام فيه عقبة اصطدم الخيال بالواقع والحبيب بالخاطب والعاطفة بالمنفعة .

فلما قرأت « آلام فرتر » سمعت نواحا غير ذلك النواح ورأيت روحا غير هاتيك الارواح وأحسست حالا غير تلك الحال . كنت اقرأ ولاأرى فى الحادثة سواى واشعر ولااشعر إلا بهواى واندب ولا اندب إلابلواى »

هذا هو « الزيات » فى شبابه حياة كلها حب وكلها عاطفة ولكن هل هو الحب الاول ...

لقد رسم الزيات صورة الحب الأول فى إحدى قصصه .

ذهبت منذ قريب إلى القرية فى شأن من شئون الاسرة وفى فترة من فترات الصمت العميق الحالم أرسل صديقى نظره إلى مورد الماشية من الترعة ثم رده وعلى عينه الساجية جميع معانى التعجب .

وعلى شفته الباسمة كل أدوات الاستفهام فنظرت حيث نظر فاذا امراة

فى اخربات الشباب تورد بقرتها الماء وقد اسدلت على وجهها الكامد طرحتها السوداء . .

* * *

دع لى صورة الفتاة التى عرفتها واحببتها ، انها لاتزال فى طوايا القلب طاهرة كالطفولة ناضرة كالصبا ساحرة كالشبيبه اما هذه التى ترى فليس بينى وبينها نسب ولا سبب .

هذه قصة نور ، قصة الحب الاول

وبعد فما تزال للزيات فى ميدان الحب قصص

قصة إلى باريس فكتب الشعر صفحة لا تقل وضاءه ولا جمالا .

عرفت فى باريس سنة ١٩٢٥ الآنسة « فرناند » ، ابنة احد القضاة فى محكمة ديمون وكانت طالبة بالسنة الأخيرة فى كلية الحقوق وكان لها بالمستشرق المرحوم كازانوفا استاذ الادب العربى الكوليج دى فرانس صلة قرابة أوصداقة فعرفنى إليها لتكون فى مدينة النور ماكانت بياتركركس لدانتى فى جنة الفردوس

ادنيا الامتحان معا ثم ارسلت نفسى الحشيمة على هواها ومناها فزرنا معابد الطبيعة فى فنسين وسانكلو وفنتبلو وحججنا محاريب الفن فى اللوفر والاوبرا وفرساى وكنت يومئذ اترجم « روفائيل » فكان مااقرأ وما اكتب وما اسمع وما ارى نسقا عجيبا من الجمال والجلال والفن والشعر والحب والتأمل والاستغراق لايدع للخيال الوثاب مسبحا ولا للنفس الطاحة رغبة ثم حم الفراق فرجعت إلى مصر ولحقت هى بأهلها فى روبان وكان بينى وبينها بعد عودتها رسائل مسكية المداد وردية الورق تؤلف كتابا من شعر القلب والعقل

وعاد الزيات إلى مصر وسافر إلى بغداد وعاد إلى مصر فاستقر بها وانشأ الرساله ووصلته الرسالة بآلاف القراء والقارئات

وكنا نحس بين حين وحين بخفقة قلب ، هنا او هناك

ولعل قصة ضخمة عنى الزيات بكتابتها فى فصول سبعة كانت بعيدة الأثر فى نفسه تلك هى « قصة فتاة »

هذه الفتاة التى كانت تحب الزيات فى عنف وقوة وتراسله من قريتها فتكتب له على هذه الصورة من الهوى العنيف

كيف كان موقف الزيات الرقيق القلب العاطفى الوجدانى من فتاة محرومة تضع آمال عاطفتها فى الكاتب الرقيق

أن منطق القصة يعطى صورة الزيات وهو يهتز عاطفه ويحاول أن يوازن بين العاطفة والعقل وبين قلبه ورسالته وبين أن يكون حبيبا وأن يكون أبا أو ناصحا هاديا .

أنها ولاشك عاصفة هزت الكاتب من الأعماق وإلا فلماذا أولاها هذا الاهتمام ورسم لها هذه الصورة القوية الجبارة

وثمة صور اخرى من صور العاطفة فى حياة الكاتب الوجدانى الرقيق

« تذكرت أن شهر يناير قد عودنى الجميل فيما مضى من عمرى فقد سجل أكثر ضحكات القلب وحسبى منها ميلاد ولدى رجاء والرسالة

« أتى إلى البريد الجوى فى صباح هذا اليوم غلافا من العراق على روقه طابع الدوق وعلى خطه سمه الظرف فلمافضضته وجدت فيه رسالة وصورة فقرأت الرسالة والامضاء ثم تأملت الصورة والاهداء فاذاهما آنسة من أوانس بغداد المثقفات وقد اولعت بالأدب واغرمت بأهله ثم عدت اقرأ وعدت اتأمل وطال تردد البصر والفؤاد بين الصورة وهى رسالة الجسم الجميل وبين الرسالة وهى صورة الروح النبيل حتى غاب حسى فى سكره من سكرات الأحلام

ولم أكد استوعب الرسالة بفكرى وأناقش موضوعها حتى تناولت القلم وفتحت الألبوم واجبت على رسالة برسالة ورددت على الصورة

بصورة . ولكن هيهات واسفاه ، لن تجيب رسالة عقل عن رسالة قلب ، وان ترد صورة قبيحة على صورة « مليحة ») .

* * *

والأستاذ الزيات ما زال على ارتفاع السن شاب القلب . . وهو يصور السعادة بهذه الصورة الحلوة الرائعة .. «ما أيسر السعادة على ابن آدم لو يدرى أو يريد ، إن كلمة من قلب مفتوح ، أو بسمة من شفاه بريئة ، أو نظرة من عين حبيبة ، أو فقرة من رسالة شاعرة ، أو قسمة من صورة فاتنة لتستطيع أن تنير ما أظلم من قلبه وأن تفرج ما اشتد من كربه . إن السعادة فتات وفترات . فلا تكون فى واحد صحيح ، ولا تدوم فى زمن متصل . . . »

وهو يصور الحب . فى صورة موضوعية تدل على طول الخبرة ، وسعة الفهم ، وعمق التجربة

« العلة الغائية لخلق المرأة هى أن تكون زوجة وأما ، وسبيلها أن تروق الرجل وتدمث أخلاقه وترقق طبعه ليسكن إليها ويشمل عليها بالمعونة والنجدة،

. . للحب خصيصتان قويتان : الرغبة والحشمة . ومن ذلك كان جمال المرأة داعى الرغبة خافض الجناح حيى الطبع . والرجل مزهو على المرأة يدل بحيازته لها ويتعزز بقيامه عليها ، فهو يريدها رعاية لا قهرمانة ، وحبيبة لا جليبة ، لها سلطان ولكنه رفيق وفيها أباء ولكنه رقيق .

ومن ثم كان جمالها مزيجاً من الوداعة والعزة ، وخلطاً من الضعف والدلال ، وطبقاً من الهيبة والنبل .

وجمال المرأة يحتفظ بدوامه وسحره ما دامت له روح من العاطفة تشع من نظراتها وتنم من بسماتها ، وتشيع فى قسماتها . وتنشر أضواءها السحرية على أعصاب الرجل — وهو بطبعه ولوع — فيستمتع بنعمة اختياره ولذة إيثاره ويجد فى الضعف الذى يستسلم ويستكين ، والحب الذى يطول ويحكم.

وسلطان المرأة القوى على قلب الرجل ، إنما يأتيها من ذلك الذكاء المستتر ترعاه معه وفيه على غير علمه ، فكان من مزايا جمالها أيضاً أن تلوح هذه البصيرة الدقيقة على أسرة وجهها وتشرق على الأخص فى تلك الفطرة الوديعة التى تتغلغل فى طوايا القلب فتمسح ظلال الفتور ، وتبدد ظلام الكآبة ، وتشعل خمود الحب . . »

وهو الحب الذى يهتف عند ما يتنازل دوق وندسور عن ملك بريطانيا فيقول .. يا كافرين بالشعر والأحلام والحب » .

وإذا تحدث عن الربيع كانت المرأة عقدة حديثه .. « أجمل شىء فى ربيع القاهرة أصائله وأماسيه . فى هذين الوقتين تزدهر شوارع القاهرة الحديثة بزهرات شتى الألوان من بنات الإنسان فتملأ الجو عطراً ، والعيون سحراً والقلوب فتنة » .

وإذا تحدث عن العيد ، أرجع السر فى أن حياتنا الاجتماعية ممسوخة وأعيادنا مشوهة إلى غيبة المرأة عن المجتمع الإسلامى ، ذلك السبب هو على ما نكابده من جفاء فى الطبع وجفاف فى العيش ، وجهومة فى البيت ، وسآمة فى العمل وفوضى فى الاجتماع .

. . كرهنا الدور لاحتجاب المرأة ، وهجرنا الأندية لغياب المرأة ، وسئمنا الملاهى لبعد المرأة .

فاذا لم تصبح المرأة فى الهو عطر المجلس وعلى الطعام زهر المائدة . وفى الندى روح الحديث . وفى الحفل مجمع الأفئدة ، فهيهات أن يكون لنا عيد صحيح ، ومجتمع مهذب ، وحياة طيبة وأسرة سعيدة . . »

ومما يتصل بهذا ما يرويه من أنه قرأ كل قصص الحب العالمية هلويز الجديدة ، ورينيه ، وأتالا ، وأدولف ، ودومنيك ، وماريون دلوم ، ومانون ليسكو ، وذات الكاميليا ، وجرازيلا ، ورفائيل ، وجان دكريف..

فاذا أضيف إلى هذا فصوله عن شاطئ البحر ، وحبه للقرية وأحاديثه عن ذكرياتها فى أيام الفيضان والعيد ورمضان وفصوله عن الأقصر وخواطر مهاجر ، أمكنك أن ترسم الصورة الكاملة لهذا الكاتب الذى تمرد باكراً على العمامة والأزهر وأسلوب الجمود فى الدرس والأدب ، واتجه إلى اللباس الأفرنجى والجامعة واللغة الفرنسية والأدب الغربى وباريس .

ومما يتصل بالحياة العاطفية للأستاذ الزيات ، فقدان ابنه « رجاء »

« . . كنت فى طريق الحياة كالشارد الهيمان ، أنشد الراحة ولا أجد الظل ، وأقبض المجد ولا أجد الحبيب ، وألبس الناس ولا أجد الأنس . وأكسب المال ولا أجد السعادة . وأعالج العيش ولا أدرك الغاية . كنت كالصوت الأصم لا يرجعه صدى ، والروح الحائر لا يقره هدى ، والمعنى المبهم لا يحدده خاطر .

فلما جاء رجاء وجدتنى أولد فيه من جديد ، فأنا أنظر إلى الدنيا بعين الخيال . وأبسم إلى الوجود بثغر الأطفال ، وأضطرب فى الحياة اضطراب الحى الكامل يدفعه من ورائه طمع ويجذبه من أمامه طموح . شعرت بالدم الحار يتدفق نشيطاً فى جسمى ، وبالأمل القوى ينبعث جديداً فى نفسى ، وبالمرح الفتى يضج لاهياً فى حياتى ، وبالعيش الكئيب يتراقص على حواشيه الخضر عرائس المنى .

. . ثم انقضت تلك السنون الأربع فصوحت الواحة ، وأوحش القفر ، وانطفأت الومضة ، وأغطش الليل ، وتبدد الحلم ، وتجهم الواقع ، وأخفق الطب ، ومات رجاء[1] »

ثم لا يلبث أن يتحدث عن ابنه رجاء وكتابه العراق . .

---

(1) الرسالة : ٦ ابريل ١٩٣٦ وحى الرسالة

« . . والهفتاه على ولدى الذى أبدعه الله ، وعلى أخيه الذى أبدعته .
جاءا معاً فى الشتاء فلم أجد بفضل وجودهما برداً ولا عبوسة ولا كآبة ؛
وذهبا معاً فى الربيع فلم أحس بسبب فقدهما دفئاً ، ولا طلاقة ولا بهجة .

أودى بهما القدر العابث خداعا وغيلة فسلب العين الكلوء ريبه الحذر ، وجرد الدفاع اليقظ من فرصة الحيلة . دب للطفل الموت فى وعكة خفيفة من البرد ظنها الطبيب زكاماً عارضاً ، فاذا هى الخناق القاتل، ومشى للكتاب القدر المحتوم فى ركام من الورق المتروك فذهب به خلسة إلى النار المبيدة .. »

* * *

ويتصل بالعاطفة فى الزيات عاطفة أخرى هى عاطفة العروبة والشرق والإسلام فهو مدره هذا الميدان .

وهو الذى جاهد بقلمه فى سبيل تحرير الشعوب العربية ودافع عنها فى كل مناسبة ، واحتضن الدعوة إلى إصلاح الأزهر .. ، ولم تمنعه سعة أفقه وهو مؤلف « عبقرية الإسلام » وإعداد الهجرة أن يرثى « إسماعيل أدهم احمد » ... عند ما أنتحر فى أغسطس ١٩٤٠ ولما أراد أن يصف خلته وانحرافه داوره بلباقة : لقد حسب أن أرقام العلم وأقيسة المنطق ، هى كل شىء فى تقدير المعلوم وأكتناه المجهول فاعتمد فى أدبه على العقل القعيد ، الذى يرى ولا يطير . وأتكأ فى الفلسفة على الغرض البعيد الذى يطير ولا يرى .

ويمكن القول أن اتصال الزيات بالأدب الفرنسى لم يمسح شخصيه ولم يدفعه إلى الانحراف ، وإنما يظهر أعتداله فى أنه يحتفل بعيد الهجرة والميلاد سواء..

وبالرغم من أن الزيات شاعر فى سلوبه الأخاذ ، فانه منصف لا يميل مع الهوى ، ولا يقول كلمة السوء ولا العبارة النابيه ، فإذا أراد أن يقول شيئاً

فيه ما يغضب ، دار ولف ، وحاور وداور ، حتى يقول ما يريد فى صيغة لا تجرح ولا تسيل الدماء ! ..

* * *

وهو يصور طبيعته فى عبارات واضحة « ... لست بطبيعتى وتربيتى رجل صالون ، ولا حديث مجلس ، لأن المجامع المختلطة التى تدفع الحياء عن الذهب وتذهب الخوف عن اللسان وتجعل أطراف الحديث فى متناول كل جالس أبتها علينا التقاليد »

وصداقة طه والزيات من الصداقات الأدبية المعدودة فى تاريخ الأدب العربى يروى الزيات كيف عقدت مى مجلساً للصلح بينه وبين طه حسين فى فترة أصيبت فيه الأخوة المصقولة ببعض الفتور .

«.. ثم(١)مسحت مى بيدها الساحرة على ما كان بين الصديقين فاذا الماضى يعود كله ، وإذا الحاضر يذهب كله . وعلاقة هذين الصديقين علاقة نشأت مع الصبى وأستمارت مع الشباب وتوثقت مع الزمن فلما نال منها العهد المجرم الذى نال من كل شىء جزعت الآنسة الكريمة فيمن جزع وظلت تتحين المناسبة لسفاره الوفاق والمودة حتى تم لها ذلك ليلة الأمس ..

كان حب صديق وحبى لحظة من الذكرى تعيد غارب الحكم وتكسر عادية الجدل . »

ويصف الدكتور زكى مبارك أدب الزيات بأنه صوره من نفس رجل يمتحن بنفسه ، وبالدنيا وبالناس ، فادبه الذى ينشره اليوم قد يكون صدى لتجاربه منذ أكثر من ثلاثين سنة والكاتب لا يعرف أين هو من حاضره وماضيه لأنه مشدود إلى قافلة الوجود ..

* * *

---

(١) الرسالة — فبراير ١٩٣٥ .

وبعد فالزيات له اسلوبه الواضح الذى يفصح عن نفسه ، وهو أحد أبناء المدرسة الازدواجية التى ابتدعها الجاحظ ، وسار على منهاجها ، المنفلوطى والرفعى والمازنى وطه حسين على أساليب متفرقة ، وطرائق متباعدة .

ولقد حرص الزيات على قلمه ، نقياً فلم يدفعه فى حمأة السياسة ولم ينزل به إلى مستوى الصراع أو الخصومة ، ومضى وفياً لطبعه وفنه ، يكتب فى أناة ، وينتج فى ترفق وأعتدال .

توفيق الحكيم



سال توفيق الحكيم إذا كان قد وصل إلى ما كان يريد فقال : ربما ظفرت ببعض ما كنت أريد أو بكثير منه ولكن هل ما كنت اريد هو ما كان يجب أن اريد .. اننا نحدد مطالبنا عادة عند ماتكون فى مطالع الحياة . أى فى مرحلة الشباب فمن يضمن لنا أننا فى هذه المرحلة كانت لنا الحكمة الكافية والتجربة الضرورية للارادة الصحيحة .

ويبدو توفيق الحكيم صادقا فى تصوير نفسه بعد أن ارتفع به السن وقد بلغ الآن الخامسة والخمسين — ١٩٥٤ — أظن انى أحب نفسى الآن أكثر مما كنت احبها ايام الشباب لأن القلب يصغر كلما كبرنا إلى ان يأتى الوقت الذى لايتسع فيه لغير انانيتنا والعياذ بالله .

وقرات له تصويره للسيدة زينب تخيل إلى إنما يقصد نفسه « .. مامن مرة وقع فى شده إلا وجد العزاء عند ضريح السيدة زينب ذى القضبان الذهبية كل نجاح ظفر به فى الحياة هو دفعة من يدها وكل عطف هو نظرة من عينها

وكل ابتسامة إنما هى ابتسامة من شفتيها انه يتخيل هيئتها ووجهها وملامحها ويعتقد انها فى السماء رداؤها الأبيض إنما تنظر إليه دائما وترعاه وتجعله من شأنها ».

ولما ذهب إلى سالزبورج فى العام الماضى — ١٩٥٣ — اخذ يصور قمة المجد التى وصل إليها « وفى سالزبورج رايت الحيطان تحمل إعلانات حمراء كبيرة تحمل اسم « بجماليون » وإسمى واسماء الممثلين النمسويين وفى تلك اللحظة يرجع بى الزمن القهقرى ثلاثين عاما يوم ابصرت لأول مرة اسمى واسم رواية لى اخرجتها فرقة عكاشة على مسرح الازبكية . يالها من رحلة بين لحظتين . كم انفق فى هذه الرحلة من جهد وعمل ويأس وامل وكفاح فنى .. ولكن ..

لقد كان قلبى يرقص فى اللحظة الأولى اما لحظة اليوم فان القلب هادىء متئد يبتسم ولا يفرح ، ما الذى حدث له ! ..

عرفت اشياء كثيرة ولكننى لم اعد اعرف الفرح الفارح الراقص الذى يجعل من الفنان طفلا . وإذا فقد الفنان طفولته فقد نضارته . لااظن انه قد كتب على كل فنان هذا المصير ، ان تجعل منه الايام دوحة قد تظل ولكن ليس يجرى فى قلبها عصير .. »

وعندما تحدث عن الحب قال « إن الحب كمرض الحصبة يصيب الصغار ويندر ان يصاب به من جاوز الثلاثين ويمكن مد المدة إلى الأربعين .

اين هذا الكائن المنقرض . يخيل إلى اننى رايته فيما مضى . ولكن لماذا يتخذ الحب هذه الأهمية فى حياة الناس . انهم يريدون ان يقرءوا عنه فى الكتب ويسمعونه فى الأغانى ويشاهدونه فى القصص . والويل للروائى او الشاعر او السينمائى الذى يهمله . انى احب بقلبى الذى فى راسى وبعقلى الذى بين جوانحى . »

هذه ملامح شخصية توفيق الحكيم اليوم .. فى الحلقة السادسة من عمره . بعد أن بلغ من الشهرة مداها وتحول من الفن الخالص إلى الصحافة إلى الأدب الذى

يرضى القراء .. إلى أن أصبح هذه الشخصية الجديدة. .انه ظفر ببعض ما كان يريد وهو يحب نفسه الآن اكثر مما كان يحبها ايام الشباب . والسيدة زينب هى منجاه فى الشدة وإليها يرجع كل نجاح له فى الحياة..ومهما وصل إلى المجد فان القلب هادىء متئد يبتسم ولايفرح اما الحب فهو كمرض الحصبة يصيب الصغار .. وهو يحب بقلبه الذى فى راسه وعقله الذى بين جوانحه .

حقا ما ابعد الفرق بين الشباب وبين ارتفاع السن .. فى الافكار والآراء . ان كل شيء يتحول وينتقل من وضع إلى وضع

وبعد فما هى حياة توفيق الحكيم من ادبه .

وهل المصادفة البحته هى التى قدمته إلى الناس ، عند ما طبع أصدقاؤه مائة نسخة من قصته « أهل الكهف » سنة ١٩٣٣ فاستقبلها الدكتور طه حسين استقبالا ضخماً فخماً . وصفق لمؤلفها . ووصفه بانها أول محاولة لابتداع الحوار فى الأدب العربى ؟ .

أن كل الأسانيد التى أمامى تدل على غير ذلك . تدل على أن « توفيق الحكيم » ولد كاتباً .. وانه بدأ محاولاته مبكراً .. ثم أختفى ، وذهب إلى باريس وعاد وهو يحمل الآمال العريضة فى الظهور والتبريز .

« ... لقد طرح فى مصر مهنة المحاماه والقانون ليمضى فى حمل القلم ، ويقول للناس أشياء يعتقد أنها قد تنفعهم .. وماكان يريد غير ذلك . ولا يطمع فى حياته فى غير ذلك . فلا الجاه العريض كان يغريه ولا مفاتن الحياة كانت تستهوته . ولا الثراء كان يجذبه أو يقنعه أو يرضيه . وعند ما يصنع إنسان لحياته خطة ، فان القدر أحياناً يأخذ وينفذ (١) » .

وهذا يعنى أن الرجل كان يفهم نفسه ، ويرسم طريقه . بل أن توفيق الحكيم يؤكد « أن أكثر الكتاب يعيشون حياتهم أولا ثم يكتبونها بعد ذلك . أما أنا فاكتب حياتى أولا ثم أعيشها بعد ذلك .. ياله من شيء مخيف »

(١) توفيق الحكيم فى « فن الادب » .

. . إذن فتوفيق الحكيم أن كان قد لمع فى الجو الأدبى فى ذلك التاريخ وبذلك الكتاب فانه لم يكن أول محاولاته . . وإنما هو رجل عاش فى اغماق برجه العاجى ، هذا الوقت الطويل ، يقرا ويراجع ، فى اناه وهدوء

« ..كان مبدا ظهورى فى الجو الأدبى نشر اهل الكهف ١٩٣٣ ولم تكن هذه الروايه بالطبع بدايتى الأولى فى هذا اللون من التأليف بل كانت ثمرة تجارب عشرة اعوام او تزيد سابقة على الشروع فى وضعها فلقد كنت قبل ذلك اكتب للمسرح المصرى روايات تتلائم وجمهور تلك الأيام .

وإنى وان كنت اؤثر نسيان الروايات الأولى إلا انى لايجب ان انكر فضلها على تكوينى الفنى الأولى فلقد كانت هى خير محاولاتى على ممارسة الحوار ثم اتسعت آفاقى باتساع نطاق مطالعاتى فى أصول هذا الفن فى الآداب الأجنبية .

وضاقت بى مصر فرحلت إلى فرنسا بعد أن كنت سجلت اسمى فى جدول المحامين ومهدت امرى لحياة مجدية . ولكن اى شيطان فى اعماق نفسى كان يدفعنى إلى إضاعة حياتى وراء فن لم يكن له بمصر اى احترام . وهناك فى فرنسا قرأت كثيراً وكتبت بالفرنسية ثلاث او اربع روايات تمثيلية مزقت الواحدة منها تلو الأخرى تمزيقا عقب الفراغ منها فلم اكن قد اهتديت إلى شيء يذكر . ولبثت فى هذا الجواد زمنا لا أجد فى آدابنا العربية مرجعا لهذا الفن ولامصدرا محترما يجعلنى ابدأ منه أو أضيف إليه إنما كان على أن اخلق البداية خلقا وكتبت بعد ذلك عدة روايات من بينها « اهل الكهف »

وقد اشتغلت بالقضاء فأنسانى هذه الخزعبلات ودفنت محفوظاتى فى حقائبى طويلا انتقل من بلد إلى بلد ومن قرية إلى قرية .

حتى وقعت مخطوطة أهل الكهف فى يد قاض مثقف من زملائى كان يذكر ايامى الماضية فى مسارح القاهرة[1]

(١) الرسالة . توفيق الحكيم ٩ يونيه ١٩٤٢

هكذا ظهر توفيق الحكيم فجأة ولكنه كان قد استعد لذلك سنوات ، ولذلك سرعان ما قدم للأدب العربى المعاصر ، عدداً ضخما من المؤلفات فى سنوات قلائل .

* * *

اتصل « توفيق الحكيم » منذ شبابه ببيئة الفن .. ولم يتخلص منها بعد ذلك — حتى هذه الفترة التى قضاها فى القضاء والنيابه — كان مرتبطا بالفن بأكثر من سبب .

ومنحته باريس « بيئة الفن » سرها وروحها .. أعطته باريس آيات الفنون والآداب التى « تملك عليه أمره كله . فلا يرى غيرها . فان المعرفة غير المباشرة من كتب ومحاضرات ومتاحف . لم تلبث أن طغت فى نفسه على المعرفة المباشرة .

كان يفضل البقاء فى باريس مكباً على القراءة والتحصيل على أن يصاحب إخوانه المصريين إلى شاطىء بحر أو قمة جبل .

ولكنه كان يحس فى باريس بأن أيامه لا مذاق لها .. . فهى كالماء الحراق أجرعه على غير ظمأ . المستقبل أمامى مغطى بالضباب . يخيل إلى أنى هويت قبل الأوان كالثمرة التى تسقط من الفرع قبل النضوج ..»

وفى باريس عمد الى تحصيل الثقافة من منابعها الحقة وبدأ محاولة فى سبيل الخلق الفنى ..

« والحوار » هو موهبة توفيق الحكيم الأولى . فيه تتجلى ملكته الأساسية وأسلوبه المركز ، أشبه بالبناء الدقيق .

وهو قليل التغير والتقلب فى الآراء والاتجاهات (١) ، يؤمن بأنه حياة الكاتب متصلة بحياة إنتاجه «.. وأن فى أعماق كل « خلاق » شبه غريزة داخلية تدفعه إلى الإنتاج البطىء أو السريع تبعاً لطول حياته أو قصرها(٢)»

(١) مجلة الاثنين . توفيق الحكيم . (٢) البرج العاجى .

ويصف اسلوب تفكيره بأنه هندسي » .. صدقت يا أندريه فى قولك انى أصلح أن أكون رياضياً ، وأن اخطارى وتصرفاتى تكاد تسير على طريقة هندسية او حسابية او جبرية (١) » .

.. وهو من الأناة بحيث يحب أن تمر فترة على آرائه « تتيح لى أن أراجع أفكارى القديمة بعين جديدة لأرى مدى استحقاقها المضى فى الحياة معى . إنها هى التى ينبغى لها أن ترغمنى على تحمل تبعة بقائها . فهى وحدها التى تملك بيدها أمر حياتها » .

وقراءات توفيق الحكيم منوعة .. « ولعل امتع الكتب التى قرأتها كانت من الكتب التى تبحث فى فلسفة العلم . وانا ممن يميلون إلى القراءة ببطء كبير. وقد أقرأ صفحة واحدة من كتاب ثم اقضى ساعة فى تأمل ما قرأت والتفكير فيه . وقد لا اقرا فى الشهر اكثر من كتاب واحد لهذا السبب . واقرب الكتب إلى نفسى هى كتب التأمل والفلسفة العميقة . ولعلك تعجب إذ تعلم ان اقل الكتب التى اقراها هى القصص . وانا لا اقرا منها إلا القصص العالمية الممتازة دون غيرها . ولست ممن يحتاجون إلى مكان خاص أقرأ فيه . فقد أقرأ وأنا سائر فى الطريق أو جالس فى المقهى أو عند ما أرقد فى سريرى لأنام(٢) .. »

* * *

يتصل إنتاج « توفيق الحكيم » بنفسيته وشخصيته ، مهما بعدت مظاهره ، ويدور حول نفسه فى كل ما يكتب ، ويعيش حياة أبطاله فهو الشخصية الأولى فى كل قصة كتبها .. وهو البطل الفعلى لكل مسرحياته . يبدو الابتكار واضحاً فى إنتاجه « الساقون الثلاثة » و « شهرزاد » .. الملك والوزير

(١) زهرة العمر .
(٢) المصور ٢٤ فبراير ١٩٤٤ .

والعبد الأسود .. كل منهم يحب شهر زاد على صورة تختلف عن حب الآخر حب الغريزه وحب الحضارة ، وحب الحيره .. وشهر زاد تحب هؤلاء جميعاً .

ولكن هل حقاً أن أدب توفيق الحكيم غير عميق الجذور وإن ذلك يرجع إلى أنه قليل الخبره ، لم يتصل بالمجتمع وعاش فى برجه العاجى ، ولم ينغمس فى الحياة ، ولم يتمرس بأهوائه وآلامه ..

قالوا أن نشأته تختلف عن نشأة طه وزكى والعقاد ، هؤلاء الذين اتصلوا بالبيئات المختلفة ، وعرفوا الفقر وكابدوه ، وشربوا كؤوس العلقم ، وكدوا وذاقوا قسوة الأيام أما هو فقد ولد وفى فمه معلقة من ذهب . وذهب إلى باريس...ولم يغامر مغامرة واحدة .. ولم يلبث أن اتخذ مقامه فى البرج الدجلى العاجى

« . . . وهكذا أعبر الوجود الأرضى نهارى فى برج عاجى ، وليلى تحت مصباح أخضر . . . »

والحق أن توفيق الحكيم قد مارس الحياة على صورة غير الصورة التى مارسها بها العقاد وزكى وطه .. وأنه قد اتصل بها فى يفاعته الباكر فى صورة العاشق ، وفى شبابه فى صورة المسافر . وفى رجولته فى صورة المحقق . . ثم جاءت تجربة « الرباط المقدس » .

. . هذه التجربة التى لا شك فى أنها واقعية ، لبروز عناصر الصدق والقوة والواقعية فيها .. فاكملت شخصية الفنان وأعطته سمته ومظهره .

« لم (١) تكن حياته كلها غارقة فى النظريات أو التحرير والتحبير ، ولكنه غرق زمناً فى الحياة من حيث هى حياة بواقعها وحلوها ومرها . وطيبها وخبثها . ومن ذلك يوم كان يعمل فى القضاء ويجوس خلال الريف والمدن ويتصل بالحاكمين والمحكومين ، ويطلع على خبايا المجتمع وخفايا الصدور والأسر والأكواخ والقصور . . . »

---

(١) فن الأدب .

واستطاع توفيق الحكيم أن يعطى لنفسه صورة تختلف عن صور الكتاب والأدباء . . إنه « راهب الفكر » التائه فى بيداء الحياة ، المعتزل للناس فى برجه العاجى وتحت مصباحه الأخضر .

« حياتى الليلية ، حياة رحبة مضيئة فاخرة بشتى الألوان . ميدانها لا فى المراقص وحانات الليل . بل فى حجرتى المنزوية . ومقعدى الواسع قرب خزانة كتبى . حياة الليل عندى ، هى حياة النفس فى اتصالها النبيل بما أقرأ فى ساعات السكون . وفى إصغائها الطويل إلى الخواطر والأفكار التى تغمر عالمى الصامت(١) .. »

وقد رسم صورة واضحة .. لهذه الحياة الغامضة ، المليئة بالوحدة فقد أراد أن يجرب الحياة المستقرة . غير أنه فشل فى تجربته . « .. ورجعت إلى وحدتى .. تلك الوحدة الباردة التى تحيط بى من كل جانب ، فما أنا فى الحقيقة دائماً سوى كوخ مقفر ، وسط صحراء من الجليد . وضعت بداخله يد المصادفة إناء يغلى ويتصاعد منه بخار . هو تلك الأفكار التى تخرج من نافذتى إلى حيث تصل أحياناً إلى جموع الناس . فاذا دخلت امرأة هذا الكوخ فمن يضمن لى ما سوف تلقيه فى هذا الإناء وما يتصاعد من جوفه بعد ذلك .

« .. وهكذا أنفقت حياتى متنقلا تائهاً ، ليس لى مكان معروف ولا عنوان دائم . فما تركت فندقاً لم أنزله ولا نزلا لم أهبطه حتى ضجرت ذات يوم وتبرمت بهذه الحال واستنكفت أن أعيش هكذا كما تعيش الفكرة الهائمة والروح الحائر .. فأردت أن أجرب الحياة المستقرة فى مسكن ثابت اخترته فى بقعة جميلة من بقاع القاهرة يشرف على النيل وترى من نوافذه القلعة والأهرام وعنيت بأثاثه وأعددت فيه مكتباً أنيقاً وخزائن للكتب واقتنيت سيارة . واقمت بمفردى وحولى خادم وطاه وسائق ..

---

(١) تحت المصباح الأخضر .

فماذا حدث ؟ لم أتحمل الحياة فيه عاما فقد كاد الخدم الثلاثة يذهبون البقية الباقية من عقلى .

. . . .

أما السائق فلا يريد أن يصغى إلى رجائى كلما طلبت إليه الا يسرع فأنا أبغض السرعة . إنها تمنعنى من التفكير ولطالما أكدت له أنى لست متعجلا شيئا . ولا شيء فى الوجود يستعجلنى فأنا عدو الزمن والوقت . ولم أحمل ساعة قط فالوقت عندى ليس من ذهب بل من تراب .

. . وانطلقت بمفردى حراً من جديد ، أنتقل فى الفنادق وأطوف بالشوارع . وأقفز إلى عربات الترام وسيارات الأتوبيس ، وأختلط بالناس وأمتزج بالجماهير . فأحسست كأن الدم يعود حاراً إلى عروقى . وأن قدمى قد فرحتا بلمس الأرض من جديد . وأن فكرى قد عاد إلى انطلاقه ونشاطه مع السير الحر بالأقدام فى كل مكان . وملاحظة الناس فى الطرقات قد أخصبت ذهنى الذى حبس طويلا خلف الزجاج . وجعلت أقف على بائع الأزره ، وهو يشوى كيزانه على عربته الصغيرة ، فأحادثه وأباسطه لا يتعجلنى سائق ولا تنتظرنى سيارة وأصغى إلى حديثه الطويل فى ذلك الليل مع كناس الجهة فأشترك معهما فى السمر والحديث . ورأيت الكناس يسامر البائع طمعاً فى كوز والبائع لاه عنه لا تخطر له العزومة على بال ، فان الشغل شغل فى عرف التجار فشريت أنا كوزين أعطيت الكناس واحداً واستبقيت لنفسى الآخر فدعا لى الكناس الدعوات الصادقات وجعل يأكل ويقص على ماعنده من أحاديثه العامة البريئة اللذيذة . . . »

.. من هذه الصورة ، ترى توفيق الحكيم فى أهاب «راهب الفكر» كما شاء هو أن يرسم هذه الصورة .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم فرنسى الأسلوب ، فان ثقافته منوعة بين الإنجليزية والفرنسية .

وهو يحب الجو الغربى ، المطر والسحاب ، والوطن الروحى .

ويؤمن بأرستقراطية الثقافة ولا يحب الترخص ، .. وإذا الأديب قائم فى المجتمع بين طبقتين ، كل منهما تجذبه بعنف ، الأولى تقول أنت للجميع لا لطبقة خاصة ، والثانية تقول له الزم مكانك بيننا نحن الخاصة وإلا هبطت إلى الحضيض .

ويؤمن بالأديب الملتزم «وأن خدمة الوطن فى ميدان المجتمع ليست لمثله ، إنه يراها تضحية يبذلها « الأديب » الحر إذ يضع قلمه الرفيع مؤقتاً فى خدمة الوطن على صورة يأباها الأدب الحر .

* * *

أدب توفيق الحكيم صورة لنفسه . فما موقفه من المرأة والحب ! . لقد أطلق عليه لقب « عدو المرأة » . فهل تحول عن رأيه فى المرأة ، كما تحول عن بعض آرائه الأخرى « لقد تغيرت كثيراً وتنازلت عن أغلب أفكارى وآمالى لقد أرغمتنى الحياة على المصانعة فى أمور كثيرة(١) .. »

لقد أحب « توفيق الحكيم » فى فجر شبابه . هذه الفتاة التى روى قصتها فى عودة الروح .. الفتاة التى كان يحبها الشبان الثلاثة .

هذه العاطفة التى رسمت طريقه ، ووجهته إلى قرض الشعر .. ولكن « الفتاة الأولى » .. تركت فى أعماقه آثاراً ظهرت فيما بعد واضحة حين صور رأيه فى المرأة والحب ..

لقد سخرت الفتاة منه ومن أصحابه . كانوا يتقربون إليها وكانت هى تسخر منهم وتلهو بهم ، وتعبث بقلوبهم ... فلما صادفها شاب آخر من جيرانها أكثر وسامة وغنى .. بذلت له حبها .

---

(١) زهرة العمر .

هذه « العقدة » كانت أول ما صدمه فى حياته العاطفية فتركت أثرها القوى باقياً . .

فاذا تحدث بعـــد ذلك عن المرأة بدا رأيه مظلماً متشائماً .. عبوساً .. لو[1] خيرت ، لا أريد جنة أو ناراً من صنع المرأة . إنى أحرص كل الحرص أن أكون سيد نفسى ، وأن أصنع لنفسى نعيما وجحيما لا تعرفهما المرأة . إن جنتى بالطبع لن تجد فيها حية ولا تفاحاً ، فهى جنة هادئة متواضعة ، جنة الفكر والتأمل والخلق والإبداع . إذا دخلتها المرأة حلت فيها الفوضى وانفرطت عقود درها المنظوم . وتحطمت تماثيلها المرمرية ، كما أن جحيمى مملوء بعذاب الشك والقلق الفكرى . وعذاب القصور عن إدراك الكمال الفنى . آلام لا تفهمها المرأة كذلك ولا يمكن أن تعترف بها ، فأنت ترى أن نفسى « منطقة مقدسة » لا أسمح لامرأة بالدنو منها ، ولقد ازددت مع الزمن شدة فى ذلك حتى رأيت أن أقصى المرأة نهائيا عن الشطر الباقى فى حياتى .

. . . .

إنى أعيش مع شبح امرأة دائماً ، ولكن أى امرأة . إن تلك التى سمحت لها بدخول جنتى ، هى امرأة لا كالنساء ، فانها النور بغير مصباح ، وهى قطرات النشوة بغير خمر ، هى عروس لها جسم المرأة . وكل شىء جميل فى المرأة متدثرة فى رداء من خيالى ومن كل ما هو جميل من نفسى قد أسبغته عليها . هى ملكة جنتى التى توحى إلى بخير ما أخرج وأصنع . فالمرأة التى لها شأن فى حياتى هى كما ترى من صنع يدى ، وخلق تصويرى . « وإنى أعتقد أن أغلب من ذكرت من الكتاب والفنانين والرجال العظام ما دفعتهم إلى العمل المنتج إلا نساء من صنع أنفسهم » .

---

(١) مجلتى .

.. ولكن هل استطاع توفيق الحكيم أن يقصى المرأة نهائياً عن الشطر الباقى من حياته .. ، إنه قد تزوج رغم إصراره على البرج العاجى ، ولكنه ما زال يقول « .. المرأة عندى هى المرأة دائماً ، وإن كنت اليوم أكثر شفقة بها وأشد حرصاً على عدم الإساءة(١) إليها »

ويربط توفيق الحكيم الفن بالمرأة ، إنه يراها مصدر الفنون والآداب ويؤمن بالهامها .. « إنى إذ أتكلم عن الفن لا يسعنى إلا أن أعترف مرغماً أن المرأة هى روح الفن ، ولو لم توجد المرأة على هذه الأرض فربما وجد العلم ، ولكن المحقق أنه ما كان يوجد الفن . ذلك أن الإلهام الفنى نفسه ، قد خلق على صورة امرأة . وأن لكل لون من ألوان الفن عروساً هى التى تنثر أزهاره على الناس . ما من فنان على هذه الأرض أبدع شيئاً إلا فى ظل امرأة ..

إن عداوتى لهذا المخلوق لن تنقطع ما دمت أخشى منه ، إن عداوتى ليست إلا دفاعاً عن نفسى . أقرن بين المرأة كشىء يوحى بالجمال وبين المرأة كمخلوق يريد أن يستأثر بكل شىء فى حياتنا(٢) .. »

فاذا تحدث عن زوجة الفنان رآها عاملا هاماً فى حياته .. « زوجة الفنان هى تلك التى تعنى بزوجها ولا تطالب زوجها بأن يعنى بها . هى التى تزيل متاعب زوجها ولا تنتظر من زوجها أن يزيل متاعبها . هى التى تتلقى من زوجها همومه ولا تخبره قط بهمومها . هى المخلوق الذى يعيش صامتاً صابراً باسماً بجوار الفنان طول العمر دون أن يشعر لحظة واحدة بوقر هذا الجوار(٣) .. »

* * *

لكن .. هل هذا الذى يرى المرأة على هذه الصورة الممتازة الموحية

(١) مجلة الاثنين : يونيو ١٩٥٣ . (٢) تحت شمس الفكر .
(٣) نفس المصدر .

الملهمة .. أحب ، أحب حباً قوياً جباراً . .

إنه يرى أن الحب .. ربما كان هو الشيء الوحيد الجميل الذى يعيش به ومن أجله نحن البشر .. « .. غير أنه فى فترات عاصفة يقول أن الحب فى هذا العالم عضو ربما تمكن العلم الحديث من بتره واستئصاله ، دون أن تخسر الإنسانية شيئاً كثيراً .. »

فاذا أردنا أن يتجاوز الشباب الباكر بأحاسيسه وعواطفه هل يمكن أن تعطينا قصة « عصفور من الشرق » صورة الحب ، أم أن هذه الصورة تبدو رائعة فى « الرباط المقدس .. »

لست أدرى ، ولكنى أبحث عن الحب فى حياة الكاتب فلا أجد إلا هذه العبارات الغامضة الحزينة المحرومة « .. إنى أحب الحب ، وإنك لتعرف أن للحب مقاماً كبيراً عندى فى الحياة ، وفى كل حياة ، وربما كان الحب هو الشيء الوحيد الجميل الذى نعيش به ومن أجله نحن البشر . . آه .. لو كان القدر أعطانى هذه المنحة لحظة واحدة ! وجعلنى أجد أحداً يحبنى حقيقة ، مرة واحده ، أنا الذى اعتقد طويلا أن عظماء الرجال هم عظماء العواطف ، وأقوياء الرجال هم أقوياء العواطف ، وأن الذى لا يعرف ولا يستطيع أن يحب إنساناً لن يعرف ولن يستطيع أن يحب الإنسانية[1] .. »

أى صرخة داوية هذه ، أى نفس هذه المحرومة المشوقة . ولكن هل حقاً أن توفيق الحكيم حزين ذلك الحزن الممض الذى تصوره بعض كلماته ..

« لا تذكرنى بالغد ، إنى الآن أعيش . حسبى هذا . أعيش يوماً فى مونمارتر ، فردوس الفن .. الذى سأفقده يوماً . سوف أذكره مع الحسرات .. أما الآن فانى أقطن فى ناحية أخرى من الحى . شأنى فى كل شهر ما أحلى التنقل والحرية . يا جان ..

---

(١) زهرة العمر

لم تتح لى لحظة من لحظات حياتى أن أحزن لحزن الطبيعة أو أبسم لابتسامها فان ما عندى من أزمات داخلية شغل قلبي دائما عن الطبيعة . إن عيناى مصوبتان دائما إلى إعماق قلبى . .

لقد جاوزت الأربعين وما أبصر بعد فى الأفق طيف واحه مورقة فى صحراء حياتى المحرقة . ما قيمة الشهرة بغير سعادة . وفيم الأدب والفن بغير هناء » .

يقول العقاد أن توفيق الحكيم متردد « بين عتبة الصومعة وعتبة الحياة .. » ويصف سيد قطب طبيعة توفيق الحكيم بأنها « تشفق من الحل الحاسم وتنفر من الوضوح الصريح . إن الشك فى طبيعته ، والقلق الدفين فى نفسه . وهو معنى بالذهن الإنسانى المجرد ، يوغل فى تأملاته ويسبح فى فروضه ويثير مشكلاته ويتابع ومضاته .. »

* * *

هل نستطيع من هذه اللمسات أن نرسم صورة توفيق الحكيم ..

أعتقد أن هناك خيط آخر هو الصوفية ، فما صلتها بتوفيق . هل كان من المتوقع أن يتجه اتجاها روحيا صوفياً خالصاً . ثم غلب عليه طابع المفكر .. يقول محمد مندور إنه « مفكر بعقله لا بحواسة . يعالج المسائل علاج من لم تمسه عن قرب » فالى أى حد يبدو هذا فى إنتاجه ؟

إن « توفيق الحكيم » يضع أمامنا ضوءاً جديد لشخصيته « طفولتى مملوءة بالعرائب منذ ولدت . وحتى ساعة ولدت قيل إنى لم أبك مثل سائر الأطفال فحسبونى نزلت ميتاً ، وكان الوقت ليلا فنبذونى للاعتناء بالأم المريضة ، فلما عادوا إلى وجدونى فى أتم صحة ، ساكناً صامتاً ، أنظر فى عجب وسرور إلى نور الصباح . أترانى أحببت النور من النظره الأولى[1] ..

---

(١) تحت المصباح الاخضر .

« أعجب ما فى حياة الإنسان أنها ليست حياة واحدة ، إنها سلسلة حيوات تتتابع فى حلقات العمر الطويل . فحلقة الطفولة لها حياتها المستقلة بجوها السحرى واتجاهها الملائكى وحلقة الصبا والشباب لها حياتها المستقلة بجوها الشعرى واتجاهها المثالى .

وحلقة الرجولة لها حياتها المستقلة بجوها التأملى واتجاهها الواقعى وحلقة الكهولة والشيخوخة لها حياتها المستقلة باتجاهها الفلسفى . وهذه الحلقات منفصلة فى أكثر الأحيان عن الأخرى . انفصالا ملحوظاً فان ما كنت تعيشه فى حلقة لا يصلح لك فى حلقة أخرى ، فالجمال الذى كان يفتك فى الشباب لا يؤثر فيك وأنت فى الرجولة . والكتاب الذى يثقل عليك فى الصبا قد يسحرك فى الكهولة [1] ..

هذا رأى « توفيق الحكيم » فى أطوار حياته ، .. « إنه[2] لم يلق كثيرا بشخصه فى غمرة الناس . ولكنه كان يلقى إليهم دائما بفكرة يسعى بينهم ويؤثر فى نفوسهم . كان شأنه شأن ذلك الجالس على الشط يلقى الفتات إلى السمك وينظر إليها يجتمع عليه ويفترق .. »

* * *

توفيق الحكيم فنان يؤمن « بأن الفنان خلق ليخلق ومهما تكن الأسباب فان السبب الأكبر هو أن قبساً حل فيه من صفة الخالق .. »

ولكنه يرى أن الأدب قد فشل تماما فى توجيه الناس والأمم والأجيال وأن أثره لم يعد أكثر من أثر السيجارة .. فان كانت أفادت أحداً فقد أفاد هو .. إن الأدب لم يحول الإنسانية عن الشر ولم يدفعها إلى الخير .. »

---

(١) عصا الحكيم (٢) الرباط المقدس .

عباس محمود العقاد



بدأ حياته بالصراع ، فهاجم شوقى وحافظ واشترك مع المازنى فى إنشاء « الديوان » ثم مضى يصارع فى السياسة فى عنف وقوة عشرين عاما ، كان قلمه أمضى الأقلام وأشدها جرأة وحماسة ، وكانت خصومته أقوى شماساً وعناداً وقسوه .

ويرى العقاد بعد مضى أكثر من ثلاثين عاما أن حملته الأولى على الأدب القديم كان لها أثرها القوى « .. (١) وقد أنكرنا أصنام الأدب لأننا أنكرنا عملهم ، وطلبنا عملا أصلح منه وأوفى . فأصلحناهم هم أنفسهم ، وحولناهم إلى وجهة غير وجهتهم وجعلناهم يطرقون أبواب الفنون الحية بعد أن كان كلامهم كله أو أكثره مقصوراً على المديح والرثاء وشكوى الزمان والأخوان ، وفتحنا أبواب النقد القديم بعد أن كان التعرض لشاعر كامرىء القيس أو أبى الطيب

(١) العقاد — الاساس — ١٩ — ١٠ — ١٩٥١

كفرا أو جنايه تعاب كما تعاب الجنايه على الشرائع والقوانين .. »

* * *

إنه حين يتصور كيف كان منذ ثلاثين عاما يعجب لهذه «المسافات فى عالم الفكر والروح ، لو تمثلت مكانا منظوراً ، لأخذ المرأ رأسه بيديه من الدوار ، كم رأى ، كم مذهب . كم خاطر . كم وسواس . كم محنة . كم مراجعة . كم زلزال يتضعضع له الكيان ، وتميد معه الدعائم والأركان » .

* * *

استهل حياته الأدبية قارئاً : وقد اختار أساتذته بنفسه ولم يفرضهم عليه أحد ، لأنهم كانوا جميعاً مؤلفين مشهوداً لهم برسوخ القدم فى صناعة التأليف أقر منها من أشاء وأعرض عمن أشاء وأطلبهم حين أريد وحيث أريد » ...

وتحت سماء أسوان الصافية ، بدأت نفس العقاد تتفتح ، وإن كان المرض الذى ألم به فى مطلع الشباب قد أنشأ فيه طبيعة الاعتكاف وأفسح له المجال للدراسة والقراءة والتأمل . . . وربما كان من أثره «أن(١) استقر فى قلب العقاد حب الحياة والتشبث بها والكفاح فى سبيلها ، فاذا واتاه الظفر فى عراك المرض ازداد تعلقا بالحياة وغلبه فى التمتع بأطايبها . . . وكان من عقبى ذلك الظفر أن أورثه زهواً وعزة وثقة بالنفس ورفاهة شعور بالكرامة وأزكى بين جنبيه نزعة المغالبة والمصاولة والاصرار » ...

* * *

وهو يقرأ ثلاث أنواع من الكتب «مايبحث(٢) فى الأدب والوصف ، وما يتناول علم ماوراء الطبيعة والحياة الأخرى — إن كان هناك حياة أخرى ، وعلم الحيوان وما يتصل به فيما يختص بحياة الحشرات . والحيوان وطباعها وغرائزها فهى بمثابة مسودة لحياة الانسان . وأنا أقرأ حوالى

(١) محمود تيمور « ملامح وغضون » (٢) الصور : فبراير ١٩٤٤

الساعتين يومياً . ومنذ سنوات كنت أقرأ سبع أو ثمان ساعات فى كل يوم ، ويتراوح عدد الكتب التى أقرأها كل شهر بين خمسة وسبعة ، وقد لا أقرأ من الكتاب غير فصل واحد . ثم أضعه فى مكتبتى وربما عدت إليه فيما بعد ... »

وقد يقرأ العقاد كتباً كثيرة لا يقصد الكتابة فى موضوعها على الاطلاق إذ أن القراءة هى التى تعطيه دون غيرها « أكثر[1] من حياة واحدة فى مدى عمر الانسان الواحد لأنها تزيد هذه الحياة من ناحيه العمق ، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب . لا أحب الكتب لأنى زاهد فى الحياة . ولكنى أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفينى .. »

* * *

وفى الصبا الباكر ، رسم العقاد صورة حياته على أحد ثلاث شخصيات قائد عسكرى أو ناسك صوفى ، أو عالم داعى . ثم تبلورت هذه الصور الثلاث حين وجد القلم وبدأ يكتب ..

« ...كنت أقرأ كل مايقع فى يدى من الكتب الأدبية والدينية ومعظمها من الطبعات القديمة . وقرأت فى مناقب الصالحين عن الأولياء الذين يمشون فوق الماء والأولياء الذين يسخرون الريح ولا يحترقون بالنار ، فأردت أن أكون مثلهم ، وترددت على المسجد فى أوقات الصلاة وكان مؤذن المسجد القريب من بيتنا رجلا جميل الصوت . أسمعه فى الفجر أحيانا ، وأسمع القصائد التى كان ينشدها . . . وكان شعر البرعى لا يعجبنى ، فلماذا لا أنشد مع المؤذن قصيدة من نظمى » ثم يقول « ... لا تزال صناعة القلم عندى شيئاً من صناعة السيف ولا يزال بحث الدين وما وراء الطبيعة عندى شاغلا لا يعوقنى عنه شاغل من شئون السياسة أو شئون المعيشة » .. وتمنى العقاد « الأدب » لأنه تمنى التعبير عن النفس « لأن التعبير عن النفس يجتمع فيه عندى تحقيق

(١) الهلال — مارس ٤٨

وجودها واستكناه حقيقتها وحقيقة ما حولها . وليس فوق هذا المطلب من مطلب رفيع يتطلع إليه موجود شاعر بوجوده[1] » .

واشتغل العقاد بالتدريس ، ثم بالصحافة ثم انصرف إلى الأدب الصرف وكتب المقالة والقصة والقصيدة . ولكنه يبلغ غاية قوته فى النثر وأدب المقالة التحليلية على وجه أخص .

يقول زكى مبارك « هو كاتب أقوى منه شاعراً لأن ذهنه ارتاض على التعبير بالترسل أكثر مما ارتاض على التعبير بالقريض .

العقاد السياسى يرمى ويرمى ويظلم ويظلم فى كل وقت فهو من أبناء السماء عند قوم ومن أبناء الأرض عند آخرين أما العقاد الكاتب الأدبى فهو من الطبقة الأولى بشهادة الجميع .

والعقاد الناقد لاينحرف عن القصد إلا فى حال واحد . حال الحكم على من يعاديه من المعاصرين . أما حكمه على المفكرين الذين بعد عهدهم فى التاريخ فهو غاية فى العدل والسداد .. »

* * *

وقد وصف العقاد بأنه يحب العزلة ويحرص عليها ، وهو يرى أن فلسفة حياته تفرض عليه العزلة فى بعض الأوقات « و[2] ليس معنى العزلة أنى أحارب الناس أو أننى لا أبادلهم العاطفة والشعور فانى أحب مسالمة الناس جهدى ولا أستبيح لنفسى أن أبداهم بما يسوء . ولكنى لا أبيح لاحد أن يستخف بالاساءة إلى ولا سيما الاساءة التى على اعتزاز بقوة لاتدفع ، واعتزاز بطغيان تعنو له الجباة فمثل هذا المسيء لا ادعه فى طغيانه دون أن يندم عليه .. »

وهو أحيانا لايغادر داره أسبوعا كاملا « لست أنسى فزع أديب زارنى يوما وعلم أنى لم أبرح الدار منذ أسبوع فها له الأمر كأنه يسمع بخارقة من خوارق الطبيعة . فقلت له لاتعجب أنها وراثة من أبوين ، يؤكدها الزمن الذى

(١) الرسالة ــ أمنيق ــ أول ديسمبر ١٩٤١ . (٢) الرسالة ١٣ يناير ١٩٤١ .

لاتحمد فيه معاشرة أحد إلا من رحم الله .. »

ويحدد موقفه من « الناس تحديد الخبير بالناس المتمرس بالتجارب بأنه لاينتظر منهم كثيراً ولا يطمع منهم فى كثير ، والطمع فى انصاف الناس إذا كان فى الانصاف خسارة لهم أو معارضة لهواهم . هو الكثير الذى ما بعده كثير فهم منصفون إذا لم يكلفهم الانصاف شيئاً ولم يصدمهم فى هوى من أهوائهم » . . .

والحياة فى نظرى لاقيمة لها « ولا تستحق أن نحرص عليها إلا إذا كانت لنا شروط نمليها عليها فترضاها،ولم تكن كلها شروطا تمليها هى علينا فنرضاها ولا نملك الصرف والعدل فيها » .

وهو قليل الاكتراث للمقتنيات المادية « لم أشعر قط بتعظيم انسان لأنه صاحب مال » .

ورث عن أمه الكثير « إلا القصد فى النفقة وتدبير المال » يقول أن الوالدة لاتنكر من شئونى شيئاً إلا الورق . الورق الذى لاينتهى هو الذى يمرضنى . . . وهو الذى يصرفنى عن الزواج . . . قلت لهـــا ذات يوم : لو وجدت لى زوجة مثلك تزوجت الساعة » .

* * *

لم يرحل العقاد ، ماعدا أسفاراً قصيرة إلى فلسطين والحجاز وهو يحب أن يسافر إلى أنحاء العالم من مكانه عن طريق الكتب ...

يقول « لقد تعلقت بالسياحة فى اوائل صباى . وشاقنى أن أسيح هنا وأسيح هناك بين مشارق الأرض ومغاربها ، ولكنها كانت كلها كما تبين لى بعد ذلك عارضا من عوارض الصبا الذى ينزوى مع الزمن وراء غيرها من الميول المتمكنة فى السليقة ، فما زالت تضعف وتضعف حتى ليسعنى أن

أقول اليوم أنني لولا رياضة المشي التي تعودتها لما خطر لي أن أبرح المنزل أياماً بل أسابيع .

ولذلك سبب مني وسبب من أحوال العصر الذي نعيش فيه . أما السبب الذي مني فبعضه يرجع إلى حب العزلة التي نشأت عليها وورثتها من أبوي . وبعضها يرجع إلى شعوري بالقراءة التي تعينني . فأني أشعر بأنني لا أقرأ سطوراً على ورق ولكنني أحيا في تلك الأوراق بين أحياء » .

* * *

وبالرغم من أن العقاد كره كتابه «اليوميات» وقال أن أمرين يباعدان بينه وبينها كلاهما حقيق بالاثبات لأنهما أيضا من ظواهر النفسيات ، وظواهر الفترة التي عشت فيها أول الأمرين أنني غير مطبوع على التوجه إلى محراب الاعتراف لأنه ضرب من ضروب الاستغفار لا أستريح إليه أو لأنني أدخر لنفسي خفاياها أو أنزهها عن البوح بها لاحد غير مستثن من ذلك إلا القليل » .

أقول بالرغم من هذا فقد كتب العقاد اعترافاته على عدة صور وفصول أمكن أن تعطينا ملامحة وسرائره واضحة إلى حد كبير .

« ..(1)أول ما أعترف به إنني مطبوع على الانطواء ، وإنني مع هذا خال بحمد الله من العقد النفسية الشائعة بين الأكثرين من اندادي في السن ونظرائي في العمل وشركائي في العصر الذي نعيش فيه .

لقد ورثت طبيعة الانطواء من أبي وأمي . فلا أمل الوحدة وأن طالت بغير قراءة ولا تسلية . ولا أزال اقضي الأيام على حده حيث يتعذر على الآخرين قضاء الساعات واللحظات .

(1) الرسالة — ١٧ نوفبر ١٩٤٧

ويغلب على المنطوين أنهم لا يألفون الناس بسهولة، وأعترف بأنى واحد من المنطوين فى هذه الخصلة. ولكننى اعترف كذلك بأن الالفة التى تصح بينى وبين أحد الاخوان لاتقطع ولا تتعرض للقطيعة باختيارى وقد يتعدى الأمر ألفة الأخوان إلى ألفة غيرهم من الاحياء والاشياء.

وأعترف إلى جانب هذا بأننى لا أعرف التوسط بين الحب والكراهيه ولا أريد أن أعرفه.

وقد يبلغ من ضعف ارادتى أحيانا أن احتال على نفسى، كأنها شخص آخر اطلعه على بعض مرادى واخفى عنه بعضه.

وأعترف بأنى من الزهدين فى البذخ والطعام. ولكنى اعترف بأنه زهد لافضل لى فيه لأنه يكلفنى مشقه المغالبة والمقاومة.

واعترف بأن عنان النفس يفلت من يدى فى حالات كثيرة ولكنها حالات أراجعها أحيانا فلاانسف لافلاته، بل أرى أن ضرر الأطلاق اخف من ضرر الشد والكظم وثنى العنان.

.. لا أطالب أحداً بجميل لأن جميلى لنفسى سابق لكل جميل، ولكننى أعترف كذلك بأنى لا أطيق التواضع الكاذب الذى هو رياء من المتكلم وغفلة فى السامع.

وأعترف بأنى احب الشهرة والخلود. ولكنى أعترف كذلك بأنى لا أطلبهما بثمن يهبض من كرامتى(١).

. . . .

انى من أعجز الناس عن رفع حاجز واحد يقوم بينى وبين انسان، ولا سيما حاجز الكلفة والأغراض فاذا تلقانى أنسان، بمثل هذا الحاجز فلا اقتراب بينى وبينه أبد الدهر. وليس أشق على نفسى من الزلفى التى يزداف

---

(١) الهلال — يونيو ١٩٥١

بها بعضهم لكسب صداقة أو تمكين علاقه . . »

أننى أسيء الظن بالناس لأنى أحسن الظن بهم .

العاده قوية السلطان على سليقتى وخلقى لا تعصمنى منها إلا الثورة النفسية .

هذه ملامح الصورة النفسية وخطوطها الرئيسية كما رسمها فى أكثر من موضع من كتاباته ، وهى فى مجموعها تعطى صوره رجل كونته تصاريف الأيام ، ومنحته الخبره الطويله ، وأتاحله الاتصال بمختلف البيئات الادبيه والسياسيه طبيعة متعدده الجوانب .

* * *

وهو معجب فى الأفراد الذين عاصرهم برجلين ، غاية الأعجاب أما أحدهما فهو محمد عبده . . . « الحق أن أعجابى بهذا الرجل العظيم كان من أكبر المؤاثرات فى توجيه حياتى العامة وتزويدى بالقدوة الصالحة فى الاستقلال بالراى والجاهره بالعقيدة ولو ذهب بى الأمر مذهب التحدى والمخاطره وقله المبالاه بما يكون . . »

والثانى هو سعد زغلول .

* * *

ومذهبه فى الأدب ، ورأيه فى المراه ، كلاهما غاية فى الاستواء فهو يكره الأدب المكشوف ويحاربه . ولايحامل المراه فى تملق رضائها بالموافقة على رأيها أو هواها .

رجع عن ترجمة حديقة ابيقور لانا تول فرانس « لأنه بدا له أن أدب الاستخفاف الذى يدور عليه ذلك الكتاب ليس بالادب النافع » كما رفض ترجمة قصة « لادى شاترلى » لأنها من الأدب المكشوف « الذى تحاربه أشد المحاربة ..

ويقول عن الكاتبة مى وكان بينه وبينها عاطفة كان لها أبعد الأثر فى حياته

الأدبية ولعلها كانت مصدر الصراع بينه وبين مصطفى صادق الرافعي وغيره .. «كنا نتبادل الآراء كثيراً ، ونختلف كثيرا ، ولا نستغرب هذا الخلاف ، ولا نكف عن تبادل الاراء ، لأن الخلاف بين كل أنثى وفية لطبعها وكل رجل وفى لطبعه أمر من البداهة بمكان ، فهى تنظر بعين حواء إلى حقائق الدنيا وهو ينظر بعين ادم وكلاهما مخلص فى خلافه ومستفيد » ويصور موقفه من المراه فى « مطالعات » .. أننا فى عصر يميل إلى محاباة المراه فيما تكتب من آراء فلسفية ، كانت أو اجتماعية لأن أداب الأندية توشك أن تبغى أداب الكتابة ومباحث الفكر . فيحبس الكاتب قلمه عن كل ما يغضب المراه ولا يوافق هواها ، كما يحبس لسانه عن ذلك فى أنديه الانس ومجالس السمر . ويكتب حين يبحث فى مسائل الاجتماع بقلم السمير الظريف لا بقلم الناقد الأمين »

... وهذا غاية الاستقامة فى الراى ، والنزاهه الفكريه عن المجامله ومبعث هذا أن العقاد يؤمن برايه ويقدر مكانة أدبه

« ... ولقد تعبت كثيرا فى تحصيل الأدب والثقافه ، ولكنى اعترف بعد هذا التعب كله بقصورى عن الغاية التى رسمتها أمامى فى مقتبل صباى ، فلم أبلغ بعد غايه ولاقريبا من غايته ... »

وتلك صورة الطموح . فى نفس الكاتب الذى وصل إلى ذروه الشهرة والتبريز .

* * *

لعل ابرز حادثين فى حياة العقاد : هما سجنه سنة ١٩٣٤ ويبدو أن السجن عدل من اتجاهه السياسى وكان حافزه على الخطوه التى تلت ذلك حينما تحرر من الحزبيه بعد سنوات

وأن كان أكسبه مزيدا من الاعتداد والوقار ، يصور ذلك قوله :

لبثت جنين السجين تسعه أشهر وها أنا فى ساحة المجد أولد

وفى كل يوم يولد المرء ذو الحجا   وفى كل يوم ذو الجهالة يلحد

والحادث الثانى البعيد الاثر فى حياته ، وصول الألمان إلى العلمين وهجرته إلى السودان . وكان يحمل فى أيام الحرب على الألمان حملات عنيفة وألف عن هتلر كتابا تناوله فيه تناولا يتفق مع نزعته الديمقراطيه .

لم تطل هجرة العقاد فى السودان ولكنه خسر منها كثيرا . خسر الكثير من ذخائره الأدبيه الخالصه التى لم يكن بدمن اتلافها

« فى هذا اليوم بعينه _ أى عيد ميلاده ـــ وصلت جيوش روميل إلى العلمين وأوشكت أن تعبرها إلى طريق العامرية فالقاهرة والاسكندرية وهو الهوان على أيدى أناس هم أخبر الناس بالهوان ولا فرار من الموت أن وجب . ولكن البقاء للهوان إخلال بكل واجب يحرص عليه الانسان

وليس هذا افجع ما فى الصفقة الفاجعة بل افجع منها الليلة التى قبلها . أو هى ليلة المذبحة كما سميناها ، لأنها جرأة على الماضى تهون معها الجرأه على المستقبل أو على المجهول .

كل ما أتركه بعدى لا أباليه . الكتب يصنع الله بها ما يشاء وما اكتم القارى انى على خطوة من أحراقها فى كثير من الأوقات غضبا على تكاليف المعرفه حيث يسعد الجاهل بغير تكليف وماذا اترك غير الكتب مما أباليه **أن** كنت اترك الكتب ولا أبالها . هباء أو كالهباء ، الاوراقا متفرقات فيها ودائع العمر التى يموت عنها الانسان ولاتسخو نفسه بان تموت قبله .

وهى لاتنقل إلى حيث تفتح وتقرأ فى مدخل كل أرض مطروقه ، وهى لا تودع عند احد كائنا من كان . فلا موئل أكرم من التمزيق ثم نارالحريق .. وانقضت ساعتان قبل تمزيق الورقه الأولى ولم تنقض الا دقائق قبل تمزيق الورقة الأخيرة .

وانجلت الثورة عن كومه من الورق كل قطعه منها موصوله بعرق ممزق وشعل من النار لم تكن من قديم عهدها الاشعلا من النار ولكنها عادت إلى رماد »

ويصور العقاد نفسه على قة الخمسين فيقول « من المحقق أو الراجح فى جميع الأعمار أن الخمسين نهاية الكسب أو التحصيل من الحياة . ليس بعدها ما ياخذه الانسان من الدنيا ويضيفه إلى تكوين عقله أو جسمه . ولكنه لايزال بعدها يعطى الكثير ويفقد الكثير ... »

فاذا بلغ قه الستين صور مدى التحول الذى أكسبه هذا السن(١) « ..زادت قدرتى على البحث والدراسه . ونقصت قدرتى على مواصله الكتابه والقراءة. ولكننى عوضت هذا النقص بازدياد المرانه على الكتابه وازدياد الخبرة بالتقاط أصعب الفوائد من ايسر القراءات .

زادت حماستى لما أعتقد من الآراء ، ونقصت حدتى فى المخاصمة عليها لقلة المبالاة باقناع من لا يذعن للرأى والدليل .

لم تنقص رغبتى فى طيبات الحياة ولكننى اكتسبت صبراً على ترك ما لابد من تركه .

وارتفع عندى مقياس الجمال. كان ما يعجبنى قبل عشر سنين . لا يعجبنى الآن. فلست أشتهى منه أكثر مما أطيق.

وكنت قبل عشرين سنة كما أنا الآن قليل الرجاء فى خير بنى الإنسان . ولكن فلسفة الشعور هنا قد تحولت إلى فلسفة العمل .

كنت أحب الحياة كعشيقة تخدعنى بزينتها الصادقة وزينتها الكاذبة فأصبحت أحبها كزوجة أعرف عيوبها وتعرف عيوبى. ولا أجهل ما تبديه من زينة وما تخفيه من قبح ودمامة. »

---

(١) — المصور : اغطس ١٩٤٩ .

فاذا أردنا أن نتعرف سرائر حياة العقاد الوجدانية تيسر لنا ذلك على أوسع نطاق وأوفاه .

« .. إن الإنسان لا يجد نفسه فى شيء كما يجدها فى الحب[1]. وأنه لا يعرف ما فيها من قسوة وضعف ومن عطف وجمود ومن رحمة وقسوة ومن خفايا وظواهر ، ومن فجيعة وضحك . ومن حكمة وحماقة ومن إنسانية وحيوانية ، كما يعرف ذلك جميعه فى الحب . فالحب ومعرفة الناس صنوان .. »

وهو يصور الحب تصوير العارف الخبير « .. إن الرجل يعشق الأنثى فى مبدأ الأمر لأنها امرأة بعينها . امرأة بصفاتها الشخصية ، وخلالها التى تتميز بها بين سائر النساء ، ولكنه إذا أوغل فى عشقها ، وانغمس فيه ، أحبها لأنها المرأة التى تتمثل فيها الأنوثة بحذافيرها ، ويجتمع فيها صفات حواء وجميع بناتها . فهى تثير فيه كل ما تثيره الأنوثة من شعور الحياة .

إن الأنوثة تثير فيه شعور القوة وشعور الجمال وشعور الإنسان كله وشعور الحيوان كله ، بل تثير فيه حتى الشعور بما وراء الطبيعة من آراء موهوبة ، ومن أغوار لا يسبر مداها فى النور والظلام[2] .. »

* * *

ويصور فلسفة الحب فى قوله « يجمع الحب بين اثنين لا يخطر على البال أنهما يجتمعان . ويتكرر الحب فى حياة الإنسان الواحد حتى ليكون المحبوب اليوم على نقيض المحبوب بالأمس فى معظم المزايا ومعظم الصفات . ويتقارب البعيدان ويتباعد القريبان ، ويتجدد القلبان بين آونة وأخرى كأنهما من طبيعة الجان .

وخلاصة التجارب كلها فى الحب : إنك لا تحب حين تختار ، ولا تختار

---

(١) ويصف الحب فى صورة أخرى (الحب شاغل يلهج النفس باحد من الناس فيبدأ الحب متى امتلأت النفس بهذا الشاغل وإن لم تقع المشاهده بالعيا ن) .

(٢) هذه الشجرة

حين تحب . وأننا مع القضاء والقدر حين نولد وحين نحب وحين نموت .. »

* * *

وقصة سارة تعطينا صورة للعقاد العاشق المحب فى مختلف صور رضاه وغضبه، وقوته وضعفه، .. هذه الصورة تبدو فى أنه «قليل المرح فيروقه من المرأة أن تكون مرحة بغير تكلف ولا مبالغة . ويسمى المرح الذى يزين المرأة ويشوق الرجل مرحاً موقعاً تشبيهاً له بالغناء الذى ينطلق انطلاقاً وينبعث انبعاثاً ولكنه يقف حينما يحسن الوقوف ويسكن حينما يطيب منه السكون .

وهو يحب من المرأة الزينة التى تغرى من يبصرها إغراء لا يخفى .

وهو يحب المرأة التى تدرك الفكاهة ويكره أن تتخذ من فكاهتها صناعة.

وهو يحب ربة البيت التى تكون أول خادمة فيه لأنها سيدته الوحيدة، ويحتقر المرأة التى تأنف من تلويث يديها فى مطبخها .. »

وينتهى من ذلك إلى أنه «إذا ميز الرجل المرأة بين جميع النساء فذلك هو الحب . وإذا أصبح النساء جميعاً لا يغنين الرجل ما تغنيه امرأة واحدة فذلك هو الحب . واذا ميز الرجل المراة لا لأنها اجمل النساء، ولا لأنها أزكى النساء ولا لأنها أوفى النساء ولا لأنها أولى النساء بالحب ولكن لأنها هى هى بمحاسنها وعيوبها فذلك هو الحب ... »

وفى حياة العقاد أكثر من حب وأكثر من ساره . . . حتى بعد أن ارتفع السن .

فنى سنة ١٩٤٢ عند ما عاد من السودان، نشر قصيدة فى الرسالة[١] راعنى عنوانها «عدنا والتقينا»

---

(١) أغسطس ١٩٤٢

يافتاتى ياحياتى .

لاتراعى بعد هذا من فراق وافوت .

قدر الله كفيل لك فى ماضى وآت .

كلما فرق شملينا دعانا فالتقينا ،

ومع ذلك فان العقاد قد عاش حتى بلغ هذا السن دون أن يتزوج ، وله فى ذلك رأى أعلنه منذ عشرين عاما[1] . ولا زال مقيما عليه « . . . لوكنت فى الريف ، أو كانت صناعتى غير الأدب لتزوجت . ولكننى الآن لاأستطيع الزواج لأنى أوطن نفسى دائما على أن أواجه كل نوع من أنواع المعيشة واجازف بكل شيء ولا أبالى بالمستقبل .. »

* * *

وبعد فالعقاد تاريخ طويل يمتد فى الأدب العربى المعاصر منذ ١٩١١ إلى اليوم وهو يمثل للخلود فى فترته الأخيرة (سنة ١٩٣٩) بعد ما سكن الصراع الحزابى وبدا العقاد يدخل باب الأدب الخالص . على أن هذا لايعنى أنكار أثاره من قبل ، ولكن الاتجاه الاخير الذى أخذ صورة الاستقرار يمثل العقاد بعدما تبلورت أفكاره واستقر هدفه وتوضح منهجة . لقد تحول العقاد وتنقل فى هذه الفترة بين الكتابه السياسيه والكتابه الأدبيه والنقد والتراجم وتلخيص الكتب ودارسه شخصيات سياسية كسعد وشاعره كابن الرومى والمتنبى ، ثم بدأ يتصل بالتراث الاسلامى فكتب عبقريات محمد وعمر وأبو بكر وعلى والحسين وبلال وكتب « الله » و« فلسفة القرآن » .

---

(١) مجلة كل شيء : أغسطس ١٩٣٥

وهنا استقر العقاد على طابعه الاصيل « كتابه التراجم النفسيه »

ثقف العقاد نفسه ، وقدمته السياسه إلى الجماهير فى صورة ضخمه . وظل فترة طويله دعامة من دعائم الكتابه الصحفيه الحزبيه ، ولم يحل هذا التبرير فى ميدان السياسة ، من أنه يزاول العقاد الأدب فيكتب فيه يوما كل أسبوع ، ويصدر بين حين وحين كتابا من مؤلفاته ، أو مجموعه من مقالاته(١) .

حتى إذا توقف الصراع السياسى الداخلى أبان الحرب العالمية الثانية ، انتج أجود آيات أدبه . . « كان النشاط السياسى يحول بينى و بين الفراغ للتأليف والتدوين . فلما حيل بينى وبين هذا النشاط فى وقت من الأوقات كانت النقمة أبرك من النعمة ، فوجدت فراغا من الوقت لتأليف الكتب لم يكن ميسورا فى أبان العراك . وظهر لى نحو عشرين كتابا فى شتى الموضوعات » .

* * *

وحين يتصل بتاريخ العقاد الأدبى بالسياسة يبدو فى صوره « السياسة » نفسها ، وهى صراع وخصومة ونقد وهجاء . . قد يصل غاية الشوط فى العنف والشماس . وقد تبدو فى صوره المتناقضات .

أما حين يخلص للادب للصرف فانه يبدو غاية فى القوة والاستقامة والوضوح .

وختام لقول أنه ولد فى ٢٨ يونيو ١٨٨٩ فى أسوان وكتب أول مقال

(١) ساعات بين الكتب ، مطالعات ، مراجعات

له ١٩٠٤ فى جريدة الظاهر واشتغل بالتـدريس مع المازنى وفريد أبو حديد عام ١٩١٥

وقد وصف أمانيه (١٩٥٤) وهو فى سن الخامسة والستين بقوله :

« أما كل ما أطلبه فلم أبلغه ولا اعتقد أن أحداً بلغ كل ماطلب .

كان هدفى فى الحياة أن أتولى القيادة العسكرية ثم تحولت إلى طلب العلوم الزراعية ثم تبين لى من مراجعه نفسى مراجعه دقيقة أن وراء الطموح إلى القيادة العسكرية وإلى العلوم باعثا واحداً هو حب الأدب » .

محمد حسين هيكل



هذا كاتب وأديب اختطفته السياسة منذ عشر سنوات ولم يسترده الأدب مرة أخرى ، سوى أنه أذاع مذكراته « السياسية » فى خلال هذه الفترة(١) .

وكاد أن ينطوى فى تاريخ الأدب المعاصر الأديب الذى عرف بالاسهاب والمقالات المطولة فى صدر « السياسة الأسبوعية » زمنا .

فقد بدأ حياته بالمحاماة ثم أحب الأدب واتجه إلى الصحافة حينا فاستقر بها طويلا ، وأنتج خلال هذه الفترة أثاره الأدبية المعروفة الآن ، ثم انصرف إلى التاريخ ، وأغرم بالتاريخ الاسلامى بوجه خاص ، واتيح له خلال هذه الفترة أن يجلى تاريخ « الرسول » وأن يوغل فى دراسة الدولة الاسلامية وأبطالها .

وفجأة توقف ، فقد انتقل من الصحافة إلى السياسة ، واتيح له أن يرأس مجلس الشيوخ بعد أن كان يرأس تحرير صحيفة يومية . . .

(١) وقد أصدر فى الشهر الماضى قصة جديدة (هكذا خلقت) .

واستنزفت السياسة بصراعها ومناوراتها ومتاعبها قواه كلها، فتوقفت آثاره التى كان قد بدأها، عن الاتمام، فلم يكتب ولم يكمل «الشرق الجديد» ولا تاريخ السيرة.

ولكن «هيكل» يريد أن يقول لنا فى أكثر من مناسبة أنه لم يكن أديباً ولذلك فلا ضير عليه أن ينصرف عن الأدب يوما.

«ثم ماذا (1) ترانى يا صديق أنتجت، دعك من فصول يومية تكتب فى الصحف فأنت أعرف الناس بتفاهة ماينفق من مجهود فى هذه الفصول. دعك من العمل فى حزب سياسى فأنت أدرى بالسياسة المصريه. ماهى وما مبلغ الجهد فيها. دعك من هذين وانظر وإياى فيما انتجت انه لا شىء أو لايكاد يكون شيئاً. وأنا رجل بينى وبين الخامسة والأربعين شهور.

... وما أضيق بأسلوبى ولم أتخذ الأدب يوما صناعة ولا أنا توفرت على دراسة الأدب. إنما أنا رجل درس القانون ودرس الاقتصاد والسياسة ومال إلى قراءة الفلسفة والأدب لا إلى دراستهما دراسة انقطاع وتمحيص».

وقد كان هذا ارهاصاً بأن هيكل يعود مرة أخرى إلى فنه الأول: الاقتصاد والقانون... وقد كان!

ولكن هيكل قد ترك آثاراً قوية فى الأدب العربى المعاصر، لا يمكن أن تنسى وكان أبرز تحول فى تاريخه الأدب هو دراسة السيرة والتاريخ الاسلامى كان هيكل «حفياً» بالتاريخ منذ بدأ حياته. فقد تناول الكثير من رجال مصر، كما تناول جان جاك روسو، وبعض كتاب أوربا... بالبحث والدرس ثم تبلور هذا الاتجاه فى دراسة للتاريخ الاسلامى كان مفتاحها كتاب «أميل درمنجم» عن محمد فقد لفت نظره هذا الكتاب، فاذا به فجأة يواجه قراءه فى السياسة الاسبوعية فى شتاء سنة ١٩٣٢ بفصول جعل عنوانها «حياة محمد

(1) ملحق السياسة (يونية ١٩٣٣).

لأميل درمنجم : عرض وتعليق : محمد حسين هيكل » وقد وصف هذا الاتجاه فى مقدمة كتاب « حياة محمد » بقوله « بدأت أراجع تاريخ محمد ، وأعيد النظر فى سيرة ابن هشام ومغازى الواقدى ، وعدت إلى كتاب سيدامير على « روح الاسلام » ثم حرصت على أن أقرأ ما كتب بعض المستشرقين ، فقرأت كتاب درمنجم وكتاب واشنطون ارفنج . ثم انتهزت فرصه وجودى فى الاقصر شتاء ١٩٣٢ وبدأت أكتب . ولقد ترددت يومئذ أن أجعل البحث الذى أطالع به قرائى من وضعى أنا خيفه ماقد يقوم به أنصار الجمود والمؤمنون بالخرافات من ضجة تفسد على ما أريد » .

ولا شك أن كتاب هيكل عن حياة محمد ، كان تحولا واضحاً فى تاريخه الأدبى بل فى تاريخ الأدب العربى المعاصر كله فالرجل الذى عكف منذ شبابه على دراسة آثار الأدب الأوربى ، والذى كان يدعو بقوة إلى الحضارة الأوربية وآثارها ، يتحول إلى الشرق وإلى التراث العربى فيقرأه ويمعن فيه ويتناوله على هذه الطريقة التاريخية الحديثة .

أى العوامل ذلك الذى دعا « هيكل » إلى أن يمضى فى هذا الاتجاه ؟ هل يمكن أن يقال أن كتابنا الذين كانوا يتزعمون المدرسة الحديثة ويدعون إلى الحضارة والثقافة الأوربيتين ، قد داخلهم الشك فى تقديرهذا الأدب حينما انهزمت المبادىء الفكرية الأوربية أمام المطامع الاستعمارية ، أم أحس كاتبنا أن الانسانية أصبحت فى حاجة إلى غذاء روحى يرد عنها ذلك الظلم الذى فرضته الحضارة الماديه المسلحة بأسلحة العلم والفكر لتحطم وتدمر وتستعمر ؟ .

أم اكتشف أن الكتاب والمستشرقين الأوربيين إنما يعملون لحساب الاستعمار وتغريب الشرق ، عند ذلك عاد إلى التراث العربى محاولا أن يستخرج منه صوره نقية من صور البعث الروحى .

إن هيكل لا يحدثنا عن ذلك بأكثر من أنه تأثر بحملات المبشرين التى

كانت قد استشرت فى هذه الفترة فدفعه ذلك إلى دراسة السيرة للدفاع عن صاحبها ورد عدوانهم . ولعل هذا يدفع عنه ما وصف به ، من أن اشتغاله بالسياسة قد أثر فى فهمه الأشياء ، فلا شك أن عمله السياسى هو الذى دفعه فى هذا الاتجاه الجديد الخصب « ... إذا كان اشتغالى المتصل بالسياسة قد أثر فى تصورى للأشياء وفى حكمى عليها ، فانما كان أثره أن زادنى تقليبا للأشياء ، وامتحانا لها ، وتعمقا فى بحث ما تنطوى عليه وما ترمى إليه » .

* * *

ولكننا نظلم « هيكل » إذا جعلناه من رواد الأدب الاسلامى الحديث دون أن نذكر له أثراً آخر كان به رائداً من رواد القصة ذلك هو قصة «زينب»

فقد وضع هيكل باكورة القصة المصريه ١٩١٧ ولكنه لم يواصل السير فى هذا الطريق ، وإن كان قد أنشأ بعض القصص بعد[1] ذلك .

وهيكل كاتب جزل العبارة ، واضح الأداء ، مستفيض . يقلب الفكرة على جوانبها ، ويبحثها من جميع أطرافها ، ويعرض لها عرضا فيه شمول وفيه أناة ... وفيه دقة وهو يصف أسلوبه بأنه أسلوب قانونى « وطبيعى أن يكون أسلوبى أسلوب الذين درسوا القانون والذين يرون أن تؤدى المعانى بالألفاظ لا تزيد عليها ولا تضيق بها ، والذين لا يعنيهم لذلك بهرجه اللفظ للفظ ، وقد زادنى حرصا على هذا الاسلوب أنى رأيت مثله موضع الاطراء من طائفة من كبار الكتاب والفلاسفة » .

ولكن هيكل لايلبث أن يتهم كتاب العصر بأنهم لايعرفون اللغة العربية نحن مع احترامنا للغة العربية ، لانعرف اللغة العربية ، نعم ! نحن لا نعرف « عربى » ، ولست إذ أقول هذا أقوله عن تواضع كما اعتاد البعض ، ولكنى أقوله لأنه يعبر عن الحقيقة فى أمر الأكثرين منا . فنحن قل أن

---

(١) ثورة الأدب .

(٢) السياسة الاسبوعية ٣ مايو ١٩٣٥

تقرأ كتاباً باللغة العربية غير ما قرأناه صبانا ، ولا يزال حتى اليوم هو الأساس الذى يصدر عنه فى كتابتنا وتعبيرنا عن عواطفنا ومشاعرنا »

* * *

سافر هيكل إلى أوربا فى مطلع الشباب فالى أى مدى كان أثر ذلك فى أدبه وإنتاجه ؟ .

يقول « سافرت إلى باريس وجعلت أدرس اللغة الفرنسية واتصل بأدبها فأخذ إليه من هواى كأشد ما آخذ حسناء إلهها هوى مغرم بها . ودفعتنى هذه المطالعات المتصلة وما فتحت عليه عيناى من جمال البيئة المحيطة بى إلى الاعجاب بالحضارة الغربية التى تنتج مثل هذه الثمار العذبة الشهية » .

غير أن هيكل لم يلبث حين عاد إلى مصر أن بدأ أقرب إلى الاعتدال فهو لم يسرف فى الاندفاع وراء الأدب الأوربى ، وآية ذلك دعوته إلى الفرعونية وربط الحاضر بالماضى ، ومهما يكن من أمر هذه الدعوة وصداها ومصيرها فانها قد تبلورت بعد فى نفس هيكل على صورة أخرى حين بدأ يكتب عن « الإسلام » . فقد اتسع المعنى القومى الذى كان يدعو إليه إلى صورة أشد قوة وعمقاً حين ربط تاريخ الشرق الحديث بالإسلام ودعوته ومدنيته وامبراطوريته ..

والحق أن هيكل كان فى حياته الفكرية أقرب إلى الاعتدال من زملائه زعماء المدرسة الحديثة ، كان أشد رفقاً ، وأكثر اعتدالا ، حتى أسلوبه فى الكتابة السياسية كان مثلا للرفق والأناة ، وإن لم يخل من قوة ورغبة فى الصراع .

فهو لم يعرف بالخصومات الجريئة التى عرف بها طه والعقاد ، ولم يعلن ثورته على القدماء ثورة واضحة ، وهو فى الأدب يؤمن بالملائمة بين العلم والأدب وبين تراث الشرق وحضارة الغرب وبين الإحياء والبعث من ناحية والنقل والترجمة من ناحية أخرى .

اتصل منذ شبابه الباكر بالجريدة وتتلمذ على خاله لطفى السيد ، وعاش فى هذا الجو الجديد ، فلما عاد من أوربا ، ونشأت الأحزاب ، كانت «السياسة» هى مدرسة التجديد التى جمعت طه وهيكل وعزمى وعبد الرازق .

وكان لونها الواضح وثقافتها الظاهرة : الفرنسية فى أبرز معالمها وكان منهاجها مخالفا لمنهاج المدرسة الأخرى التى أطلقت على نفسها المذهب الجديد والتى كانت أشد ثورة وهدما ، وأكثر اتصالا بالثقافة الإنجليزية ، وأكثر حرباً لحافظ وشوقى وهى مدرسة «الديوان» وعلى رأسها العقاد والمازنى وشكرى .

.. ولكن هل كان طريق المدرسة الحديثة واضحاً ، .. وأن كان كذلك فماذا يعنى هيكل حين كتب فى مقدمة «ثورة الأدب»[1] .. « ومهما يكن من أمر فان ثورة التجديد فى الأدب قد ظفرت بالقديم وجرت إلى ناحيتها حراس حصونه ، حتى كادوا يسلمون المجددين مفاتحها ، ولكن ما أنفق من الجهود التى هيأت للفوز فتح عيون أصحاب الجديد واسعة وجعلهم يتساءلون : أيان نذهب وماذا إليه من جديد نقصد .. »

والحق أن هذا التساؤل له معناه ، وأنت حين تدرس طه وهيكل والعقاد والمازنى ، تستطيع أن تعرف فى يسر أن هدف هذه المدارس الجديدة إنما كان نقل الإنتاج الغربى اليونانى بصورة أو بأخرى . وتأتى الإجابة الواضحة على سؤال هيكل بعد فترة طويلة من حياة هؤلاء الكتاب .. بعد أكثر من عشرين عاما عندما يبدأ طه فى كتابة هامش السيرة ودعاء الكروان وهيكل فى كتابه « حياة محمد » والعقاد فى كتابه « العبقريات »

* * *

لم يغير هيكل لونه السياسى . منذ بدء حياته الفكرية والسياسية مع الأحرار الدستوريين حتى رأس هذا الحزب وانصرف عن الأدب كلية وارتبط

---

(١) صدر عام ١٩٣٣ .

طه وهيكل فترة من الزمن فى ميدان «السياسة» ارتباطاً قوياً كان له أثره فى النهضة الأدبية ، فكم من مساجلات دارت بين الكاتبين حول مؤلفاتهما. كان أبرزها نقد طه حسين لكتاب «جان جاك روسو» وخطاب «من هيكل إلى طه» عندما أصدر « ثوره الأدب » ..

ومن هذين الخطابين يمكن للباحث أن يرسم صورة واضحة لمدرسة «السياسة» ولا يعدو الحق أو يبعد عن الواقع إذا قال أنها كانت أصرح المدارس الأدبية وأجرأها فى النقد . حتى أن كاتباً من كتاب السياسة ينقد رئيس تحريرها فى صحيفته . . على هذه الصورة .

« يجب أن يكون هيكل شديد الالتواء على النقاد . مسرفاً فى ازدراء القراء وغالياً فى الاقتناع بأنه وحده موفق للخير حين يفكر وحين يعمل . . لا أعرف كتاباً علمياً أو أدبياً أردأ طبعاً من كتاب الدكتور هيكل بل لا أعرف كتاباً علمياً أو أدبياً بلغ فيه الإهمال والفتور ما بلغاه فى كتاب هيكل .

طبع ردىء مفعم بالأغلاط المنكرة ، وورق ردىء يصرف القارىء عن أن ينظر فى الكتاب .

ثم يصف طه هذه الجرأة من نفسه فيقول :

« ما رأيك فى محرر السياسة الأدبى يتناول بهذا النقد العنيف رئيس تحرير السياسة ثم لا يستحى أن ينشر هذا النقد العنيف فى جريده السياسة . .

أليس هذا إسرافاً أو شيئاً فوق الإسراف .

كلا ، ليس إسرافاً وإنما هو القصد كل القصد ، والاعتدال كل الاعتدال فهيكل تلميذ لطفى السيد . ولقد أذكر أن لطفى السيد علمنا حين كان مدير الجريدة أن ننقد أصحاب الصحف فى صحفهم ، وعودنا أن ننشر نقدنا راضياً به مبتهجاً له . ونحن قوم يحب بعضنا بعضاً ، ولكنا نتحاب فى الحق والعلم والأدب وحرية الرأى قبل كل شىء .

أستغفر الله بل لو علمت أن فى هذا النقد ما يغضب صاحبى أو يغيظه لنشرته ولضحيت بصحبة هيكل فى سبيل ما أعتقد أنه حق . . . »

. . وفى الواقع أنه مما يحمد لهيكل أن يتقبل هذا ، وأن يرضى به ، بل إنه ليذهب إلى أبعد من ذلك حين ينشر كتاب ثورة الأدب ويتناوله طه بالنقد ما يلبث أن يقول له « . . وهذا البحث الذى يشعرنى بما لك من أثر فى مجهودى وإنتاجى يجعلك صاحب فضل فيه كبير »

. . ثم يمضى هيكل فيسجل صفحة مشرقة من الإنصاف فيقول (. . ولست أخفيك أنى مدين فى حياتى ككاتب لأشخاص كثيرين شجعونى وأزرونى . ولكنك كنت وما تزال يا صديقى فى مقدمتهم . كنت وما تزال كذلك حين ألقاك وأتحدث إليك . وحين أقرؤك وأستمتع بجمال ما تكتب وعظيم لذته . وحين أفكر فيك وفيما أثرت فى الأدب وفى تاريخ الأدب من ثائرات لما تهدأ . والحق أنه إذا كانت ثورة الأدب مدينة فى العهد الأخير لعدد غير قليل من الكتاب والأدباء فهى مدينة لك بأعنف ما فيها . مدينة لك بأشد ما فيها طرافة) .

وإذا كان لنا أن نتساءل عن هذه الصداقة الأدبية الضخمة أين ذهبت . . فاننا نستطيع أن نتلقى إجابتنا من السياسة الحزبية !

* * *

يقول (جب) أن هيكل (يعمل الروية والفطنة فى تدريج الرأى العام المصرى إلى مستوى الثقافة الأوربية) وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من وصفه بالاعتدال . فهو لم يشترك فى معارك أدبية جريئة ، ولم يدخل فى نقد صارم ، إلا حين اختلف مع شوقى وكان قد كتب مقدمة الشوقيات عام ١٩٢٥ ، ثم هاجمه عام ١٩٢٧ بمقالات جعل عنوانها (أخلاق شاعر الأخلاق) .

بل أن هيكل كان هادئاً فى ميدان الصراع السياسى ، فبينما كانت الصحف

الحزبية تدوى بالآراء الجريئة ، كان يكتب فى هدوء ، فلا تحس أنه يتعصب أو يثير النقع ..

وفنه الرئيسى المقالة المطولة ، وله مقالات ذات وهج أذكرمنها على سبيل المثال (الاجتهاد والتقليد) و (أزمة العالم : أزمة خلق وعقيدة[١])

* * *

وبعد فهل نستطيع أن نجد « حياة » الكاتب فى أدبه ، أوهل تتيح لنا أثاره أن ندرس نفسيته وشخصيته ... ؟

ما أظن أن ذلك يسيرا فلم يكن هيكل حريصا على أن يجلو هذا الجانب إذا استثينا الجانب السياسى من حياته الذى كشف عنه فى كتابه « مذكرات فى السياسة المصرية » ..

.. نعم نحن لا نستطيع أن نعرف الشىء الكثير عن نفسيه « هيكل » وحياته .. غيرأن الدلائل كلها تقطع بأنه ينطوىعلى « شاعرية » لاشك فيها ، فهو لم يقف أمام مرأى من مرآئى الجمال . ولامنظر من مناظر الطبيعة فى خلال أسفاره ورحلاته المتعدده إلى أوربا إلا وصفه فى قوه وافاض فى تصويره .. ورسم صورة واضحه لاحاسيسه ومشاعره إزاءه

سافر هيكل إلى أوربا فى مطلع شبابه ، ثم سافر مرات متعدده بعد ذلك ، عند ما قضى أبنه ممدوح ، وغشيت حياته الزوجيه غاشية ! فأراد أن يدفع عوامل الألم والحزن التى فرضت نفسها على حياته بتلك الرحلات التى قام بها صيف ثلاثة أعوام متواليه مع زوجه إلى عوالم الشرق والغرب .

... ووفاه ممدوح ، حادث بعيد الأثر فى حياة الدكتور هيكل وفى حياة الأدب ، فقد أصاب نفس والده بذلك اللون الحزين الذى صوره فى مقدمه كتاب « ولدى » . والذى كان هذا الكتاب ثمره من ثماره .. وفى

(١) السياسة — إبريل ١٩٣٤ .

تاريخ الأدب المعاصر ، صورتان اخريان لولدى ، أحداهما للزيات والاخرى لمحمود تيمور .. وليست الصورة التى رسمها هيكل باقى هذه الصور..

وسافر هيكل مرات إلى لبنان وسوريا والحجاز والسودان ..

وارتبطت رحلاته هذه كلها باثار فى الأدب والرحله .. كان ابرزها « منزل الوحى » الذى جاء أثر اتصال هيكل بسيره الرسول والتراث الاسلامى. وحين أراد أن يمشى فى أثر الرسول ويشهد أماكن الغزوات والمواقع !

ولا شك أن « الاعتدال » الذى يبدو واضحاً فى أنتاج الكاتب وحياته الفكرية هو صدى لأعتدال فى محيط النفس والأسرة والحياة الخاصة . . . فهو زوج منذ صدرحياته ، وقد مضى فى حياته ، على طبيعته ، يقرأ ويكتب وينشيء . . . دون ما ارتطام أو اضطراب . . .

ويبدو أن ما وصل إليه الكاتب من التبريز والشهرة ، يرجع إلى عاملين هما طبيعته الخاصة واستعداده ، وطبيعة الوضع الذى أوجده فيه اتجاهه السياسى .

ويبدو هيكل فى حياته الخاصة « رجل ليست له بدوات ، وأنه من ذلك الصنف الذى يغلب الاتجاه العقلى . . عنده على اللون الوجدانى . .

* * *

أما فيما يتعلق بصلته بالمرأة ... فيبدو أن هيكل قد أحب فى فجر شبابه ، وكان ثمرة حبه هذا قصة « زينب » ...

ثم لا تبدو المرأة فى أنتاجه الأعلى فترات متباعده ... وفى صورة غامضة غير واضحة .

هل كان له حب عظيم فى باريس . . ؟

ذلك ما نشك فيه ... فلم يرد فى أثاره ما يدل على غلبه هذا اللون ، وإنما يبدو أنه كانت هناك رؤى ... كان لها أثرها فى الالهام ...

« عرفت[1] بباريس فى ربيع ١٩١٠ فتاة من كندا نزلت وأمها بالمنزل الذى كنت فيه ، وأقامت فيه أسبوعين ثم غادرته وأمها إلى ألمانيا فى رحلة من هاته الرحلات التى يعكف أبناء أمريكا عليها حتى لاحسبهم يعتبرونها بعض واجبات الحياة ، وكنا أهل المنزل جميعا نقضى مابعد العشاء فى فى صالون متصل بغرفة المائدة نتحدث أو تعزف صاحبة المنزل لنا بعض قطع على البيانو اذ كانت تجيد هذا العزف إلى حد البراعة فيه . وقد وثقت هذه السويعات بينى وبين الفتاة الكندية إذ كنت أقدر الحاضرين على التحدث إليها بالانجليزية لأنها لاتجيد الفرنسية . وكنت يومئذ أكتب « زينب » وكانت لى يومئذ فى الأدب وما أرجو أن أجدد فيه من أثار أوهام طويله عريضة . فلما كانت الليلة التى أعتزمت مغادرة باريس فيها وجعلنا نتحدث بعد العشاء خاطبتنى فى ذلك المستقبل الذى كنت أرجو لنفسى ككاتب قصصى . فقالت :

كم أود لو استطعت أن تكتب تاريخ مصر فى صورة قصصية كما صنع سير والتر سكوت بتاريخ انجلترا . إننى وأن لم أعرف مصر أشعر بأن فيها شيئا كثيرا جميلا . وأن تاريخها وأثارها جديران بالكشف عنها وتقريبها للناس فى الصورة القصصية المحببة للنفس ، ولعلك أن فعلت تجعل أهداء أولى هذه الروايات التاريخية إلى »

.. هذه المراه الملهمه لهيكل ... لاتعطى صورة وجدانيه واضحة ، بقدر ما تعطى صورة عقلية محدده ! .

---

(١) ثورة الادب

ومرة أخرى ... تحدث « هيكل عن المراه وأثرها فى الالهام[1] »

« .. لو اننى حاولت استقصاء نواحى الضعف فى الهام المراه الفن لطال الحديث ...

واجب المراه فى الهام الفن فرض محتوم عليها لأن الطبيعة لاتستطع أن تقوم بهذا الالهام وحدها على الوجه الأكمل . واشتراك المراه والطبيعة فى هذا الالهام هو الكفيل بكمال الفن .

... وليس كاتب أو شاعر أو مصور أو مثال أو موسيقار ، لايحدثك عن حظ من الالهام قل أو كثر ، كان لامراة فيه نصيب هو الذى أوحى إليه بخير ماله فى الفن وقد يصدر هذا الالهام عن تمليق تلك المراه لرب الفن أو عن دلها عليه أو صدها عنه أو تعذيبها اياه . وقد يصدر عن اشتراك فى الفكرة الفنيه التى يموج بها خاطره فتغذى الشراره التى تلهب شعلة الفن المقدسة فى نفس رب الفن فيضىء جوانب روحه فيندفع إلى وضع الاثر الفنى ممتلأ به فؤاده .

اليس بين سيداتنا المستنيرات من تشعر بهذا الواجب . أو تحس فى نفسها موهبة الايحاء لرب الفن موهبه لا يستطع مغالبتها ، فما بالهن إذن ينصرفن عن القيام بهذا الواجب المقدس ولا يقتضيهن شيئاً يخالف طبيعتهن النسوية الرقيقة التى صاغها الله فنا جميلا .. »

ولا يستطع هذا القول الا أن يعطينا صورة واضحة لنفس هيكل وهى تحس بالحرمان من أثر المراه فى الهام الفن أو الادب ...

---

(1) السياسة الاسبوعية — ٢٦ مايو ١٩٢٤ .

وبعد فقد كان الأدب أبرز مظاهر حياة « هيكل » وقد ترك فيه أثاراً باقية ، هي جزء من الإدب العربي العاصر ، لاشك في جودته وقوته ، وأن كان قد انصرف بعد عن الأدب إلى الحياة التي أحبها واوغل فيها ، حياة السياسة والقانون . وضرب فيهما بسهم وافر فأن مراحل حياة « هيكل » ما تزال متشابكة مترابطه وهي في مجموعها صورة واضحة لحياة مفكر . . .

* * *

ولست أدري هل يود هيكل بعد أن فرغ من أعباء السياسة أن يعود الآن إلى ورد الأدب مرة أخرى وأن يوغل فيه . إن مقالاته التي تنشرها « أخبار اليوم » لا تعطينا هذا الدليل فهي في مجموعها ذكريات يغلب عليها الطابع السياسي والإجتماعي ولعل قصته « هكذا خلقت » مقدمة لصحوة قد تكون بعيدة الأثر في تجديد الاتجاه الأدبي والسير فيه بخطوات واسعة .

فريد أبو حديد



اقرأ أى كتاب من كتبه ، أو استعرض ان شئت أسماء مؤلفاته ، فانك سرعان ما تضع يدك على مفتاح شخصيته وتعرف سر نفسه ...

اقرأ « زينوبيا » ، أو « الملك الضليل » ، أو « أبو الفوارس عنترة » ، أو « آلام جحا » أو « سيف بن ذى يزن » .

تجد نفسك أمام شخصية هذا الكاتب الشاعر القصصى ... الشغوف بأن يعيش مع التاريخ البعيد ، مع الشخصيات المجهولة التى أضفت عليها الأساطير والقصص والخرافات ... جواً من الغموض ، فعاشت بين السحب والغيوم . عاشت ملفعة بالحجب والضباب .

إنها القصص ، من حيوات أمثال زينوبيا ، أو امرىء القيس أو جحا ، والتى ليست فى مصدرها وفى أصلها إلا سطوراً معدودة من كلام مدفون فى بطون الكتب القديمة . وإذا بالكاتب يأخذها ويضفى عليها من ثقافته وخياله وفنه ما يكسوها بشراً سوياً ، ويبعث فيها حياة جديدة ، ويخلق حولها جواً لا تشك لحظة وأنت تقرأها أنه قريب من الجو الذى كانت تعيش فيه هذه الشخصيات .

وليس أمامنا لكي ندرس شخصية « فريد أبو حديد » إلا مؤلفاته هذه بالاضافة إلى كتابه « عمر مكرم » .

إنه من الكتاب الذين لايتحدثون عن أنفسهم ، ولا تبدو معالم حياتهم واضحة فى كتاباتهم . إن هناك هالة من الغموض تحيط بنا من كل جانب ونحن ندرس هذه الشخصية .

كثير من الكتاب هم كذلك . لاتعطيك آثارهم صورتهم النفسية واضحة ، لاسيما أولئك الذين لايتصلون بالصحافة اتصالا دائما مستمراً ، فان هؤلاء يظلون فى حدود حياتهم الأدبية الخالصة التى يعكفون فيها على الانتاج الأدبى المجرد . لايعطون الباحث تلك المادة التى تعينه على الكشف عن حياتهم الوجدانية فى يسر .

وكتاب كزنوبيا أو الوعاء المرمرى . ماذا يمكن أن يعطيك عن كاتبه إلا صورة عقلية محضة ، هو أنه أديب شغوف بهذا اللون من الأدب ، محب للايغال فى أعماق التاريخ والماضى ، والذهاب بعيداً بعيداً إلى أعماق الجزيرة العربية ، وإلى الشخصيات البعيدة الغامضة . هذه نفس شاعرة ، تندفع وراء الغوامض من اجراء التاريخ لتحاول أن تعيش فيها وتجد لذتها فى أن تبحث وراءها ، وتدرس كل مايتصل بها .

ولكن مهلا ، فان دراسة مثل هذه الشخصيات ، ليس يسيراً وليس هيناً وليس من البساطة فى شىء ، ودراسة مثل يدرس حياة جحا أو سيف ابن ذى يزن أو الملك الضليل ، يتطلب دراسة تاريخية ضخمة لعصره ، والحياة فى عهده ، والتقاليد والملابس والمجتمع والناس فى خلال هذه الفترات حتى يمكن أن يتم بناء هذه الصورة على أساس صادق من الواقع . فاذا توافرت هذه الأسس ، جاء الفن الأدبى نفسه فوضع الصورة الكاملة الواضحة . للشخصية النابضة بالحياة ، الذاهبة إلى مداها فى الحركة والحياة .

وفريد أبو حديد حريص على أن يطوى شخصيته عن القراء ، وأن يطوى

حياته الخاصة عن الناس فلا يدعها إليهم ، وهو يقول فى أحد أبحاثه[1] « ليغفر لى القارىء أن أتحدث عن نفسى على كراهية فى طبعى للتحدث عن النفس » .

وهو لا يريد أن يقول لنا إلا أنه أحب ذلك التراث العربى الزاخر من التاريخ ، وملك عليه نفسه منذ تعلق بالادب . فاستغرق وقته ووقف عليه اهتمامه

« كان التاريخ يبدو لى إذا قرأته غير تلك السير التى يقرؤها الناس عاده ليستخرجوا منها علما أو عظة . كنت اقرأ التاريخ . فاذا بى أحيا مع من اقرأ سيرتهم ، وأعاشر أهل العصور الغابرة كأنما أنا من بعضهم ، أكاد أشعر بأنفاسهم وأحس باحساسهم ، واهتز لما يهزهم ، وأغضب لما يغضبون له ، وأسر لما يسرهم ، وأتألم معهم فى محنتهم . وكنت إذا قرأت فى كتب الأدب أشعر بنشوة عجيبة لما فيها من آيات تسطع فى الذهن كما يسطع النور على صفحات الجوهر الصافى ، وكنت أرى دائماً أن تلك الكنوز أثمن من أن تبقى فى مخابئها ، وأن تلك العصور أكرم وأنبل من أن تبقى طريحة فى سجل الزمن الذى انطوى . وما أكثر ما كان لتلك السير من آثار فى نفسى وفى عقلى » .

فاديبنا محب للتاريخ ، كلف به . صرف فى دراسته ومطالعته شبابه كله ، واستهوته الشخصيات القويه الأثر فى التاريخ ؛ ومن ذا الذى ينسى أنه أنصف « عمر مكرم » فى وقت كانت كتابة تاريخه على وجه من الانصاف لا ترضى الحاكمين ، غير أن هذا الاتجاه لم يطل أمره ، إذ تحول سريعاً إلى الفن الذى يملأ عليه قلبه . تلك الصورة التى تتصل بالأساطير والقصص الغامض « وودت لو تواتينى القوة ويطاوعنى الطبع على أن أبلغ ما تصبو إليه نفسى فاخرج للناس صورة الحياة التى يمتلىء بها قلبى فى ثوب مختلس من تلك الكنوز

---

(١) مقدمة قصة « زينوبيا » .

الثمينة فأكون كالصائغ إذا استعار رسماً قديماً فأبرزه فى حلية جديدة يرفرف عليها روح القديم فوق هيكل حى جديد » .

* * *

غير أن هذا الاتجاه الذى استقر عليه كاتبنا بعد أن ارتفعت به السن ، وجعله مذهبه الأدبى ، ولونه الواضح الصريح . يمكن أن يردنا إلى صباه ويلقى ضوءا على ماضيه فندرس شخصيته فى وضوح .

هذا الاغراق قصص حرب البسوس وسيف بن ذى يزن وامرىء القيس والزباء وعنترة يرسم صوره الكلف الواضح فى الشباب إلى ذلك الشاعر الذى كان يجلس فى المقاهى فى العهد الماضى فيروى قصص هذه الحروب .

كان « فريد » معجباً بهذا اللون من الرواه . وكان فيما يبدو يتعقب هؤلاء من مكان إلى مكان ، ومن مقهى إلى مقهى . ليسمع وليطيل السماع . وليقضى الليالى مرهفاً سمعه وحسه إلى هذا الفيض من القصص ثم أذابه تشكفاً بعد ذلك إلى كتب التاريخ ليقرأ ويقرأ ! .

وهو لا يلبث أن يحدثنا عن هذا الاتجاه حيث يقول « ...[1] وبلغنا ميدان الحسينية . قبل منتصف الليل ، وكان النسيم ما يزال يهب وديعاً والبدر الباهر يتوسط السماء الصافية والأنوار الساطعة تنبعث من الحوانيت والمنتديات الشعبية التى تحف بالميدان .

ولاحت لنا حلقة فى منتدى كان قائماً عند مدخل الطريق الضيق المؤدى إلى المدينة ، وكان فى وسط الحلقة شاعر ينشد على ربابته ويقص على الجمع الحاشد قصته . وكان فى رنين انشاده من بعيد ما يوائم نبضات قلوبنا المضطربة .

وكان الشاعر شيخاً لا أذكر أن عينى وقعت على مثل صورته ، كان

(١) مقدمة : الوعاء المرمرى .

نحيفاً معروق الوجه له لحية خفيفة وخطها الشيب ، ولكن عينيه الكليلتين كانتا تنبضان بنور لامع يخالطه سيال وديع يشعر بشجن دفين . وكان يلبس عمامة بيضاء ذات عذبة تضطرب على كتفه إذا تحمس فى انشاده بصوت متهدج تنم نبراته عن حركة نفسه وحراره وجدانه . وكانت ربابته تصاحب انشاده بلحن عميق يملأ جو المنتدى بأصدائه وهو يعلو حينا ويخفت حيناً ويرق فى مواضع ويعنف فى أخرى .

« .. منذ تلك الليلة صرنا من قصاد ذلك المنتدى البلدى نذهب إليه إذا اجتمعنا أو وحدانا إذا لم ندبر اجتماعا حتى أصبح لنا بعد قليل ملتق مختاراً » .

.. ثم يصف « فريد » أثر هذه النشوة فى نفوس الشباب .. وفى الكفاح من أجل الحرية « .. كنا نجتمع هناك كل ليلة فى المنتدى ندبر مع أصحابنا خطط الجهاد فى سبيل الحرية . وكان لهذه الصداقة الجديدة أثرها العظيم عندما شبت الثورة الكبرى فى مارس من ذلك العام » و.. لا يذكر أحد أن أناشيده القوية الوثابة (يقصد الشاعر) كانت تحرك قلوب طلاب الحرية نحو عزمات الغد الطالع فى ضمير الغيب » .

وتستطيع هذه العبارات أن تعطينا صورة لنفس فريد حديد فهو محب للبطولة ، مغرم بها ، وقد ترصد لها فى القصص ، كما اتصل بها فى الحياة فشارك فى ثورة ١٩١٩ ، وقرأ حيوات الأبطال العرب الذين استفاضت بالحرب والكفاح والدماء والبطولات . .

وهو مغرم بالأقطاب الذين تركوا فى أوطانهم وفى التاريخ آثاراً ما تزال رغم مرور الزمن قوية واضحة ، لا يمكن نسيانها أو تجاهلها ، بل هى مازالت حتى الآن تبعث فى النفس الشوق إلى التضحية والكفاح ..

وأنت تلمح من صفحات آثاره الصرامة والوضوح والرغبة إلى أن يكون صريحاً جريئاً ، تفيض نفسه بالحق ، كأنما هو من أولئك الذين

يكرهون المداورات والمناورات ويبغضون أساليب السياسة مما يطلقون عليه اللباقة أو تجميل الألفاظ مالا يحتمل . أو ما يطلقون عليه أسم الأسلوب الذى يجرح ولا يسيل الدماء فهو على طبيعته واضح صريح ، صارم حاد ، لا يعرف ميلا ولا زيغا ، ولا يرى فى الحق مجاملة ، إنما يقول كل شىء ويمضى ..

ويأتى هذا متسقا مع حبه للبطولة وإعجابه بها ، وهى طبيعة الفرسان ورجال الوغى الذين عاش معهم فهم لا يعرفون تلك الألوان الرقيقة اللينة ولا تلك الأساليب التى توصف بآداب الصالونات . . ولعل مرجع هذا فيما نعتقد تلك الحياة الريفية البدوية التى عاشها الكاتب فى فجر حياته .

* * *

و « فريد أبو حديد » واحد من هؤلاء الرواد الذين بدأو حياتهم الأدبية مع ثورة ١٩١٩ أو قبلها بقليل . تأثر فى فجر شبابه بالأدب الإنجليزى وأوغل فيه فقرأ لكتاب القرن التاسع عشر من مارلو إلى والترسكوت إلى دكنز . وأحب شكسبير وتأثر كثيراً بسكوت فى عمل القصة التاريخية .

واشترك فى تحرير السفور وكتب فى السياسة الأسبوعية تابلوهات قصيرة لعلها كانت أول اتجاهه القصصى .

ومضى « فريد » على طبيعته هادئاً متئداً ، لا يتصل بالصحافة ولا يشارك فى السياسة ، ويخلص لفنه وأدبه وتركت قراءته «لآلام فرتر » أثرا يختلف عما تركت فى نفس الزيات من أثر فقد كره هذا الضعف والتخاذل . فأنشأ قصته « مذكرات المرحوم محمد » سنة ١٩٠٣ .

وابتدع «فريد أبو حديد» الشعر المرسل ، حين ترجم أجزاء من قصة انطونيو وكليوباتره بهذا الأسلوب . ثم ترجم سهراب رستم ومضى فى اتجاهه هذا فكتب بهذه الطريقة قصة عثمان بن عفان ، وخسرو وشيرين .

وظل فريد أبو حديد تتنازعه طبيعتين مختلفتين وإن كانتا قريبتين .. هى طبيعة المؤرخ ، وطبيعة القصاص . كان قرأ كل أمهات الكتب التاريخية

ولمح فيها صورا غاية فى الروعة والقوة لو أنها كتبت على الطريقة الحديثة، لو أدخل إليها فن من فن والترسكوت وشكسبير . .

لقد كانت « ربابة الشاعر » الكامنة فى أعماق فريد أبو حديد تصارع فيه « المؤرخ » ... وأخيرا غلبت عليه طبيعته فأخرج تلك الآثار الرائعة التى تقدم نفسها للخلود

« الملك الضليل — زينوبيا — الوعاء المرمرى — المهلهل سيد ربيعة ».

* * *

فاذا ذهبنا نستقصى صلة أدب الكاتب بشخصيته، وجدناه وثيقاً قوياً، فهو من ذوى الطبائع النقية الصريحة . يبدو هكذا حين تتحدث معه، وحين تقرأ له .

فى نفسه ذلك الإحساس الحاد المتدفق بالوطنية الذى صوره فى قصته الوعاء المرمرى، وفى كتابه عمر مكرم الذى ألفه بعد معاهدة ١٩٣٦ وفى كتابه عن ثورة ٢٣ يوليه « أنا الشعب »

فاذا ذهبنا نستشف شخصيته وجدناها واضحة فى بطل قصة أزهار الشوك « فؤاد » . . الشاب المحب للريف، الكلف بجماله وأصباحه وأمسائه واصائله المتفتح القلب، الجياش العاطفة . يصف أباه معجبا به « . . وكان كلما وقف هناك خطرت له خطرات من ريف النجيلة، ومن أيامه فيها وأماسيه فى أشهر الصيف، ثم تتمثل له صور من هناك . . وكل هؤلاء الذين ملأو عليه الحياة فى تلك الشهور، ثم تتمثل له صورة أبيه محلقة فوق هذا الخلق كله كما يحلق النسر فوق قمم الجبال . لقد عرف أباه قبل ذلك الصيف، ولكنه عرفه فى تلك الشهور كما لم يعرفه من قبل . ففتح عينيه آخر الأمر فرآه رجلا وإنساناً كان يعيش فى ريف النجيلة البعيد أمة وحده وسط أمة أخرى يعرف أنه غريب عنها . ولكنه كان يمد يده إليها كما يمد السابح الماهر يده إلى الغريق الذى

يكافح الموج إلى جانبه (١) . . . »

ويبدو فهم « فريد أبو حديد » للحياة على هذه الصورة الواضحة القوية « . . رأى يوماً فى بعض وقفاته عوداً ضئيلا تتقاذفه الأمواج على سطح الماء تعلو به ثم تنحدر ، وتتجه به إلى اليمين تارة ثم تلقيه إلى اليسار . ثم إذا دوامة شديدة تجذب العود إليها فتدور به لحظة ثم تبعث به إلى الأعماق .

وكان هذا المنظر يشبه وحياً هبط عليه . فبدا له أن البشر ليسوا فى الوجود سوى هنة مثل ذلك العود الضئيل . والقضاء يقذف بهم حيث يريد ، فهم يأتون إلى الحياة بغير أن يريدوا حياة وهم يمضون فيها حتى يخرجوا عنها ، سواء طالت أيامهم أو قصرت ، فاذا حان ذهابهم عنها ذهبوا كما جاءوا إليها قسراً وأمراً بغير أن يكون لهم إرادة » .

ويصور شخصيته فى شورة نقية « . . لقد تعود فى حياته بساطة الريف ، فهو لا يميل إلى مفاتن المدنية وملاهيها ، ولا يرتاح إلى مجامعها الصاخبة ولا إلى أنوارها التى تكاد تغشى العيون . كان نور القمر الخافت أحب إليه من أضواء المسارح الوهاجة ، وكانت أنفاس الشاطىء أروح لصدره من جو الأبهاء المزدحمة ، وكانت أغانى « قوية » الساذجة ورقصة « تعويضة » الوحشية أدعى إلى مسرته من النغمات الناشزة التى تبعثها الموسيقى الصاخبة فى حلقات الرقص الماجنة(٣) . . »

* * *

يقول الأستاذ « فريد أبو حديد » أن أعظم حادث فى مجرى حياته هو دخول مدرسة المعلمين ، فقد دخلها وهو كاره وكان يحب أن يدرس الحقوق.. ولذلك لم يلبث أن حصل بعد على أجازة الحقوق وإن لم ينصرف عن التدريس

(١) أزهار الشوك
(٢) نفس المصدر .
(٣) نفس المصدر

وكان ذلك (مفتاح) اتجاهه الأدبي الذى رسم حياته الفكرية فى المستقبل.

* * *

ويقول أن مثله الأعلى فى الحياة ان يعطى ما عنده . وهو يفضل فى الناس العدالة مع العفو . ويفضل فى النساء الكرامة مع الرحمة . وأحب الفضائل إليه عظمة القلب . وهو يرى البطولة فى الاستشهاد بماديات الحياة من أجل فكرة وهو يحب فى الزهور الوردة البورى . وفى الطيور اليمامة . وأفضل هبات الطبيعة عنده القلب الكبير .

ولكن إلى أى حد يمكن المواءمة بين الصورة وبين الحياة نفسها . ذلك ما ندعه للتاريخ نفسه .

سلامه موسى



« ... ليس مما يتفق لكل كاتب أن تكون أولى مقالاته وباكوره حياتى الأدبيـة عن فلسفة ثائرة بل هائجة مثل فلسفة نيتشه . ولكن هكذا قضى القضاء أن أكتب أول ما اكتب فى حياتى ، وأنا فتى لم أبلغ العشرين مقالا فى المقتطف ١٩٠٨ عنوانه « نيتشه وابن الانسان » ولشد ما كان اغتباطى عنـدما رأيت الدكتور صروف يعلق على المقال فى العدد التالى بالاستغراب لهذه الفلسفة الجديدة التى تنقض بلا حياء ولامواربه الاخلاق المسيحية والفضائل الشائعة . وانى أرجع الآن بالذاكره إلى هذا المقال فاجد فيه رمزاً لهذا المركز الذى اتبوأه الآن بين الرجعيين حيث اقف منهم موقف الهادم لما تصدع من العقائد الممزق لما يلى وتهتك من العادات والشرائع ... »

هكذا بدا سلامه موسى حياته كما صورها بقلمه ، الكاتب الثائر المتمرد الذى ما زال حتى الان حرباً على قديم اللغـــة والتاريخ والاديان والشرق .

وسلامه موسى من الكتاب الذين يؤمنون بالغرب ايمانا كاملا ، كل

ما فى الغرب من خير وشر . ومن هوى وضلال . وهو يرى أن الشرق لا يمكن أن يصل إلى المكانه المرموقه الا إذا « استغرب » استغرابا كاملا .

وسلامه موسى هو أشد كتاب مصر تطرفا فى الرأى . حتى أتهم فى وقت من الأوقات بأنه يروج رأى الملاحدة والمتحللين ودعاة المذاهب المتطرفه .

ولكن ، هناك جوانب تشرف سلامة موسى وتكتب له فى تايخ الأدب المعاصر صفحات مشرقة : تلك هى ترجمته لنظرية التطور والتفسير المادى للتاريخ . ونظريه السيكولوجيه الحديثة بين فرويد وادلر ويونج . . فقد نقل هذه العلوم الى العربيه فى أسلوب واضح دقيق ، لم يصل إليه غيره من المشتغلين بهذه العلوم والدراسات . .

* * *

يقول المستشرق[1] جب .. « على أن الجناح الايسر المتطرف من المجددين المصريين قوامه فريق أكثره من المسيحيين المصريين . وابرزهم سلامه موسى محرر الهلال الشهرى . وقد ظهر سلامه موسى فى أول الأمر بكتابه فى الدفاع عن نظريتى التطور والاشتراكية اللتين درسهما أثناء اقامته بانجلترا .

وهو يؤثر بحبه برناردشو وولز ،وهو مثلهما يتكلم بلا خوف بل يستثير سخط الناس بمواضيع لا يتناولها أشد المجددين تطرفا الا بحذر .

ولعل خير مثال لذلك مقالته عن التوحيد التى يرده فيها إلى أصل طبيعى . وموقفه حيال الأدب العربى والاسلوب الأدبى فيه جرأة ونشاط . وهو يرى فى كل من الأدب القديم والحديث نقصا فى المعرفة الصحيحة . وفى الاتصال بحقائق الحياة

ولكنه مع تميزه عن زملائه بتطرف ارائه ، الا أنه يتوخى فى كتابته الرنه العربيه المالوفه . وهو يشبه سلفه جرجى زيدان فى أسلوبه العلمى أكثر

(١) تقرير جب عام ١٩٢٩

بما هو أدبي . ولكنه يمكن أن يقال أنه خير خلف لزيدان في أحوال مصر الجديده . . »

* * *

لقد كان الانقلاب التركي — عام ١٩٢٤ — أثره في نفس سلامه موسى لجعله مادة للكلام القبعة والطربوش .. وعن الغاء مادة الدين في المدارس وعن الكتابة بالعامية وعن العودة إلى الفرعونية .

وكان لاثارة كل قضية من هذه القضايا صدى ودوى ، وقد جرى السجال فيها بين المجددين والمحافظين طويلا ..

يقول في مقال له بالهلال — نوفمبر ١٩٢٢ « ليس هناك حد يجب أن نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الاوربيه . يجب أن نفزع نحو أوربا . ونفتح أبوابنا على مصراعيها للحضارة الأوربية . وننقل مبادىء الديمقراطية والبرلمانية والاشتراكيه ، وهى مبادىء لم تعرفها آسيا أيام الاستبداد الاتواقرطى في الحكومة والدين والادب العلم .

ومن واجب كتاب الصحف والمجلات أن يؤسسوا نوعا من الرقابه النيره لمنع الرجعيين ذوى الثقافة الأسيوية من نشر ارائهم في صحفهم أو طبعها للجمهور فلا ينبغي مثلا لصاحب المجلة أو الجريدة أن ينشر دفاعا عن الحجاب أو ما يشابه ذلك . . »

وهو جرىء في أرائه عن الحضارة « .. يجب أن نذكر أن الحضاره العصرية هى حضارة الصناعة . ويجب أن نذكر أن أوربا تختلف عن الأمم الشرقية بالصناعة وترتق عليها بها وليس هناك سبب أخر لارتقائها وتفوقها علينا . وكل ما يقال عن روحية الشرق ومادية الغرب هو لباب البلاهة وخرافات الرجعيين اعداء النور والرقى » فاذا تحدث عن الشرق كان رأيه غاية في الظلم « .. كلما ازددت معرفة بالشرق ازددت كراهية له ، وشعرت

أنه غريب بالنسبه لى وكلما ازددت معرفة بالغرب ، كلما ازددت حباله واقترابا منه واحسست بأنه يمت إلى وانا امت إليه . . »

* * *

سافر إلى أوربا عام ١٩٠٨ وعاد ١٩١٣ وامضى هذه الفترة بين باريس واندن ، وغلب الادب الانجليزى فى نفسه على الفرنسى إذ رآه متفقا مع طبعه . . « ومع أن اللغة الفرنسية هى لغة الافصاح ، ولغـة الادب الحر . ومع أن باريس بؤرة الاداب الاوربيه بل مشعلة الثقافة التى تعشو الى ضوئها عيون الأوربين . ومع أن فرنسا لاتزال فى وجدانى فكره أكثر مما هى قطر . فانى لاتجاهى العلمى وحديثى فى مستقبل أيامى أميل إلى قراءه الـكتب الانجليزية ، واوثرها على الفرنسيه لأن الانجليزية تعبر عن نزعه علمية تحقيقية كثيرا مانجدها بعيده أوغائبه عن المزاج الدهنى الفرنسى . ولذلك اعزو تربيتى الثقافيه إلى الانجليزية أكثر مما أعزوها إلى الفرنسيه . . »

وفى اندن عرف ابسن ونيتشه . وتأثر كثيرا برناردشو وولز واندرجين وغاندى وكارل ماركس وجيته ودستوفسكى وفولتير . ولما عاد إلى مصر اشتغل بالصحافة وكتب فى الهلال والبلاغ وكل شىء وأنشا المجلة الجديدة سنة ١٩٢٩ .

وهو يرى « أن المولف بالمقارنه إلى الصحفى يعدنا سكا ، فان المؤلف ينزوى فى غرفته باحثا منقبا . ولـكن الصحفى يخرج ويختلط بالمجتمع . ومع أن أكثر جهودى فى الصحافة كان ثقافيا فى بحث العلوم والاداب فانى قد مسست السياسة أيضا . وأحيانا اقتحمت غبارها حتى عصفت بى فى كثير من الاوقات . . »

فاذا أردنا أن نعرف شيئاً عن حياة سلامة موسى الوجدانية لم نجد فى مؤلفاته — ولا فى كتابه تربية سلامه موسى — ما يهدينا إلى هذا الهدف

وحياته في أوربا في الأغلب لم تترك عنده أثراً وجدانياً واضحاً إلا في حدود عباراته «... كانت شهواتى الملتهمة فى تلك السنين ذهنية أكثر مما كانت جنسية. كانت المرأة الفرنسية أعظم ما حرك وجدانى الاجتماعى. بل كذلك كانت حرية المرأة فى أوربا الغربية: فان هذه الحرية كانت لهباً يلسع ويجرحنى فى كرامتى الوطنية كلما ذكرت المرأة المصرية وإلى هذه السنوات وإلى هذا الوجدان تعود ثورتى بعد ذلك على التقاليد المصرية التى لم أعد أطيق صبراً عليها»

وهو يرى أن العزوبة تخدم الأدب أكثر مما يخدمه الزواج يقول «فى هذا العصر(1) الذى نعيش فيه حيث تتغير الأوزان والقيم الاجتماعية يحتاج الأديب إلى الحرية حتى يفكر مخلصاً ويكتب مخلصاً. فان كان أعزب استطاع ذلك. أما إذا كان متزوجاً فانه يلتزم الصمت حيث يحسب النطق ويرضى بالقيود حين يحتاج إلى الحرية ويمدح التقاليد التى يدرك مدى خطرها»

ولا تعطينا آثاره ما يمكننا من معرفة هذا الجانب الوجدانى فى حياته وهو لم يتحدث عن الحب فى الحياة إلا على طريقته العلمية الخالصة.

يقول «الواقع أن الحياة أكبر من الحب. وأن الانسان يستطيع أن يرصد حياته لعمل عظيم يستغرق كل عقله وكل قلبه وكل مجهوده. كأن يتوخى تحقيق مذهب أو اختراع آلة أو توجيه شعب.

ولكن الحب هو السعادة أو أقرب إلى السعادة. وفيه تتبلور أخلاقنا وتبدو فى جوهرها الأصيل. وهو يربينا ويستنبط منا أسمى ما فى أخلاقنا.

ولكنه يبدو مستقيم الرأى حين يتناول حب العاطفة وحب الجنس فيقول «هناك خطأ شائع هو أن الحب بين محبين إنما يرجع إلى الغريزة الجنسية لا أكثر. وهذا التباس يحتاج إلى بعض التحليل. فان الاشتهاء يرافق الحب

(1) كتب هذا سنة ١٩٤٢.

ولكنه ليس أصله ، بل يحدث أحياناً أننا عندما نحب امرأة حباً عظيما فاننا نرفعها إلى مرتبة من الطهارة ونسمو بجمالها إلى معانى من القداسة بحيث تتقهقر الغريزة أمام هذه الاعتبارات .

ولكن الحب ينتمى إلى أصل آخر هو ذلك التعلق الذى نما فى طفولتنا وربطنا بالام . وهذا هو الذى يجعل فى الحب حنانا ورقة ورحمة . ونحن حين نحب امرأة إنما فى الواقع نحب صوره الام فى وجهها وقامتها وصوتها . لأننا قد نشأنا على أن نكبر من شأن الصفات التى تتحلى بها أمهاتنا » .

هذا مايعطينا سلامه موسى من حديث عن الحب . فلا نستطيع أن نذهب بعيداً إلاحين يقول «أن حب الرجل يكاد يقتصر على المرأة . أى على زوجته» وكاتبنا فى هذا يصور الطبيعة المسيحية السوية التى تعيش على الزوجة الواحدة . وتتاقلم فى محيط الأسرة وحدها .

* * *

يمكن القول بأن سلامه موسى انجليزى الثقافة ، تلغرافى الأسلوب ، عالم النزعة ، وقد استطاع فى خلال هذه الحقبة الطويلة أن ينقل إلى العربية عشرات من الآراء والأفكار والمذاهب الحديثة ، كان فى مقدمتها دعوته إلى الاشتراكية وقد بسطها فى الصحف وقربها إلى أذهان المثقفين والمتوسطين .

ولكنه شغف بكتابة القصة القصيرة فى السنوات الأخيرة مع أنه لم يعالجها فى شبابه ، ونحا فيه المنحى العلمى الذى يعالج مشاكل المجتمع أو مشاكل الحضارة .

يقول « كامفماير » عنه « . . . وهو بالرغم مما اشتهر به من دفاعه عن الأسلوب البرقى وعدائه لتنميق العربية الكلاسيكية يكتب غالباً بأسلوب أنيق لايخلو من بعض التنميق » .

وهو يفهم مهمة الكاتب وفق مذهبه العلمى وعلى ضوئه . . « أسوأ(١) الناس هو ذلك الكاتب أو المؤلف الذى ينكب على الورق والحبر والقلم لا يعرف غيرها . فإن شخصيته إنسانية هزيلة . ذلك أننا يجب أن نكتب لكى نحيا ونحيا لكى نكتب وإذن يجب أن نختلط بالمجتمع ، ونشتغل بالسياسة العالمية ، ونكافح من أجل المبادىء الاجتماعية . ونحب جمال المرأة وبهجة الزهر ونضرة الحقل . يجب أن نشتغل بالسوق والبورصة والمصنع المزرعة . نسأل عن نظمها وأجور العمال فيها ومساكنهم وثقافتهم » .

وبعد فإن سلامه موسى لا يزال على ارتفاع السن ، حاد القلم فوار العاطفة فيما آمن به من آراء . ولعل طبيعته العقلية الخالصة هى التى حفظت عليه شبابه فهو يمشى منتصب القامة سريع الخطا وهو لا يلبث أن يشتبك فى معارك فى الأدب أو الاجتماع يؤكد فيها ذلك المعنى الذى يذهب إليه دائما وهو أنه يسبق الجيل ! .

(١) أخبار اليوم ١٦ - ٨ - ١٩٥٢

الدكتور أحمد زكى

بدأ حياته فى محيط العلم والكيميا والبحث عن الميكروب . ومقالاته الأولى فى الرسالة سنة ١٩٣٢ — وهى أول ما قرأت له — لبست إلا موضوعات من العلم مكتوبة بأسلوب أديب . . . وكان يطلق عليها قصة الميكروب ... سم سلطة علمية . وبين المسموع والمقروء .

ثم بدأ يكتب فى الهلال ولم تكن أبحاثه ولاتزال أدبية خالصة ، إنه رجل يتصل بعواطف الناس وتجاربهم وأحاسيسهم وينفذ إلى أعماق المعانى النفسية والإجتماعية فيصورها فى أسلوب فريد تخصص فيه وعرف به .

ولكنه فى فجر حياته ترجم قصة « غادة الكاميليا » ليضع فى معانى الكاتب روحه وعاطفته وأشواقه ... كما فعل الزيات فى آلام فرتر .

وكنت أحب فيه أن الأدب عنده يأخذ أسلوب العلم . وأنه يمزج العلم بالأدب مزجاً يجعله أقرب إلى السهل الممتنع . فلا نرى فيه جفاف العلم ولا ميوعه الأدب .

وفى خلال هذه الفترة كتب الدكتور أحمد زكى كثيراً . وملأ الدنيا بآثاره

وانتاجه . وإن لم يصدر له إلا كتابين اثنين : أحدهما « ساعات السحر » والثانى « مع الناس » .

وبعد فما موضع الدكتور أحمد زكى فى هذا الكتاب ! .

أنه يمثل فى نظرى الأديب العالم . حقاً . أنه لم يبدأ مع طه حسين وهيكل والمازنى وزكى مبارك وتأخر عنهم قليلا .

أنه كان هناك يعيش فى المعامل الكيماوية ولكنه لم يلبث أن خرج من معمله ونزل إلى الميدان لينقل لنا العلم بلغة الأدب . ثم مضى فى طريقه إلى آخر الشوط .

وأمضى الدكتور أحمد زكى فجر شبابه فى أوربا حيث تعلم فى انجلترا والنمسا يقول « تعلمت فى أربع جامعات فى انجلترا ثم خامسة فى أحضان الجبال . جبال التيرول بالنمسا وقضيت فيها أجمع عشر سنوات أو نحوها استغرقت عنفوان شبابى والجانب الأزهر من عمرى . كنت فى أول أمرى بادى الحس مرهفة . ثم تعلمت من القوم اتئلامه وتعودت أن أسير فى طرقات الحياة هادئاً بارداً لا أبالى وإن تأججت فى قلبى مما ألتى وممن ألتى جمرات . وتنقلت بن الأسر انزل بها . فتارة أحمد وتاره أزم . وأسره لفتاه معنا فى الجامعة نزلت بها وأقمت طويلا . وامتزج الليمون بالسكر فى شراب بكوب . وشربت المر من هذا الشرب . ثم قطعت الوشائج على العيون الدامعة . وكانت تلك العيون عينى » .

هذه تجربة الحياة فى أوربا . الرحلة والبحث وراء المجهول والحب ... والغربة والحرمان تطهر النفس الانسانية وتمدها بالضياء فى كوب من الألم وهناك تجربة الحياة الباكرة .

« كنت صبياً ذا حياء بالغ والحياء خوف ولوعده الآباء والأمهات جميلا وهكذا كانوا يعدونه ونحن صبية . والخوف لايشحذ عليه مخلب أو ناب والأذى يهدى إلى الناس لايكون إلا مخلب أو ناب .

وأدركتني الرجولة فاصابتني بنوبات من زهد فى الحياة . تأتى ثم تزول واضحك وراءه نظرات إلى أصول الحياة ثاقبة . تغرى الناظر بالحزن والكآبه فاذا جاء هذا الرجل يتحيف لى حقاً ، أو يوقد النار فى طرف ردائى خلعت ردائى ودست النار بحذائى ثم ذهبت سبيلى وأنا أقول لابد فى الحياة من عنت وهذا بعض عنتها .

وقد أغضب فادمدم وأفقد وعى فيهلع الناس من خشيه ومن الغضب المجنون ثم ينحسر السحاب ويعود الصفاء وأرى الشمس يهيجه ساطعة وفى ضوء الشمس السافرة أعود فأرى شئون الحياة على حقيقتها قليله الخطر قصيرة العمر وأرى الناس على حقيقتهم من ضال ومهتد ، وليس على الضال تبعه ضلاله . وليس المهتدى فضل اهتدائه » .

هذه كلمات فليسوف وهى مزية الدكتور أحمد زكى . إنه رجل خبر الحياة وليست أبحاثه ودراساته إلا هذه الخلاصات من التجربة .

لقد بدأ حياته مثالياً . ولكن هل مضى هكذا أم اضطرته الدنيا إلى شىء من الملاينة ومواجهة الأمور بالواقعية .

«غلبتنى فى الشباب فكرة المجد . وفكرة السمو على المادة . وهى فكرة تتصل بالأهداف العليا من الحياة . ومن شأن هذه الأهداف أن تبعد عن الأسباب التى تؤدى إلى الكسب والكسب الكثير . فكثيراً ما صادفت فى حياتى كسباً كثيراً أو باباً يؤهل داخله للكسب الكثير فاشحت عنه .

« . . ترك مصر على أثر عرض سخى ، عمل وزيجه غنيه ، قال لا . . . فى آخر لحظة . وأصبح على الباخرة إلى الحرية .

« وتماديت فى التقليل من أمر المال حتى اتخذت زوجتى من لفظه المجد موطنا للتهكم على . عندما تريد أن تمزح . وإذا بى أقترب من الكهولة » ويبدو أنه ندم على هذا الاتجاه عندما تبين له أن كل شىء يشترى بالمال حتى الآخرة والجنه .

« وأول درس تعلمته أن نطلب المال لننفقه فى سبيل الله ولنحرر به أنفسنا وفكرنا وعرضنا .

وفى الصداقة تحول أيضاً « مرىى زمان آمنت فيه بالصداقة وبقوتها واعتمدت عليها . ثم جرت الحياة فاذا بالصداقات تقف وإذا بالاخلاص يضعف فتنقلب الصداقة خصومة . ووجدت فى آخر الحياة أن خير ما يفعل المرء ألا يعتمد على أحد وأن يعتمد على نفسه فرداً ، وحتى الأبناء لايغنون »

ومن هنا تبدو حياة الدكتور أحمد زكى حافلة بالتجربة والرحلة . فأى ألوان الأدب إليه: «كل ألوان الادب حبيبة إلى . ولكن لعل احبها ذلك الأدب الذى أجلس إلى كتابه فيحدثنى كأنما هو جليس يقول لى وأقول له ... الأدب الذى لايخرج عن إحدى اثنين . إما عقل جبار أو عاطفة جارفة . الأدب الذى يتفتق به الذهن تفتق البراعم فى الزهر . والربيع فى ابانه .

وأكره ما أكره فى الأدب ذلك الشىء المائع . والذى ليس به صلابة الرجل ولا نعومة الأنثى ، وشى آخر فى الأدب صغر عن أن يكون أدبا . تلك الألفاظ المرصوصة التى لا تحمل معنى » .

وفى حياة الدكتور أحمد زكى اكثر من رجل تأثر بهم وأفاد منهم . ولكن والده هو الرجل الأول . علمه الايمان . وعلمه الأدب » وادب المتنبى خاصة ، ثم مصطفى كامل تأثر به فى نعومة اظفاره . وتأثر بعبد العزيز فهمى ولطفى السيد . وتأثر بالأموات اكثر مما تأثر بالاحياء

ولكن هل فى حياة الدكتور أحمد زكى امراه .. انه يجيب بقوله « واى رجل لم تلعب المراة فى حياته دوراً . إن الحياة حافز من حوافز الحياة الكبرى ، والمدرسة والكلية والجامعة ان علمت الشباب ماعلمت ، ووسعت من عقله ما وسعت ، فليس معلما للقلب وموسعا لآفاقه ، كالمرآه ، بالمرأه تنبت فى قلب الرجل كل حس بالحسن جميل ، وكل عاطفة بالخير مشبعه ، والرجل يغامر ولكنه اكثر مغامره إذا وقفت وراءه امراه .

والمراة التي كانت في حياتي زوجتي »

* * *

وفي ميدان الشعر للدكتور احمد زكي جوله . كان في شبابه الباكر ينظم الشعر . بدأ ذلك عندما بدأ قلبه تدخله اول احاسيس الحب . وكان ذلك في الثامنة عشرة .

ولكنه لم يذهب مذهب الشعراء ، وليس له ديوان . وإنما احب شعر المتنبي والبحتري وابن رومي وتأثر بهم .

ويقرأ الدكتور احمد زكي كثيراً ولكن هو للعلم قبل الأدب . وان المائدة الأولى في حياته طبقها الأول والأصيل والأخطر هو العلم وما الأدب عنده إلا فاكهة تأتي في آخر المطاف وهو يحتمي بالأدب عندما يستخف العلماء ويحتمي بالادب عندما يستخف العلماء .

وأنسب وقت عنده للكتابة هو السحر . بعد انتصاف الليل إلى ان يصيح عند الفجر الديك ». وكثيراً ما ارى شقشقة الصباح فأقف عند النافذة اتنسم نسائم الصباح الباردة قبل أن أعود إلى الفراش أستكمل نومها . وبعد فما مكان الدكتور أحمد زكي في الأدب المعاصر .

الحق انني اعده من كتاب التأمل والغوص إلى اعماق النفوس . والبحث عن السرائر والشمائل في حياة الناس ولأسلوبه الذي يمتزج فيه العلم بالادب اثر في طرافه هذا الفن الذي استحدثه بعرض خبرته وتجاربه وقراءته في هذه الابحاث الاجتماعية ، وهو في هذا الجانب البارز من انتاجه فيلسوف .

ولا شك إن كان لرحلاته وأسفاره أثرها في تكوين هذا الطابع الواضح المميز في انتاجه وعرضه للمسائل وهو وإن لم يكن من أولئك المصارعين الذين يرغبون في دخول حلبة السجال والنقاش . وإني لأراه من أولئك المسالمين

الراغبين فى الجنوح عن الناس ولكنه يدفع هذا الرأى حين يقول « وعلمتنى الحياة شيئا من عناد هو عناد الفكرة ، أثبت عليها ما اقتنعت بها . ولو قام الخمسة الرجال والعشرة من حول المائدة يدللون على بطلانها وقد تزعزعنى المعارضة القوية فأكاد اتهم بصيرتى ، ثم أعود إلى نفسى أقوى ما أكون إيمانا بها » .

وللدكتور أحمد زكى فى الحديث والإلقاء طريقة كنت أظنها تكلفاً غير أننى حين جلست أتحدث معه رأيتها طبيعة فيه وهى تعطى ذلك المعنى الروحى الجميل . معنى القلب الخافق والنفس الجياشه التى حد العلم من جيشانها وأعطاها هذا اللون الوقور من الآناة والاتئاد .

كامل كيلانى

بدأ كامل كيلانى حياته الادبية على أسلوب يوحى بأنه سيأخذ مكانه الطبيعى ، بين صفوف الادباء والمؤرخين .

بل أن اتجاهه التاريخى كان غالبا على اتجاهه الادبى ، تشهد بذلك مؤلفاته . ملوك الطوائف ومصارع الخلفاء ، ومصارع الأعيان

ثم برز اتجاهه إلى الشعر ، فهو شاعر يخفى أثاره الشعريه ويحتفظ بها لنفسه ثم بدا يراجع ابن زيدون ، وابن الرومى

ثم اتصل بالادب الاندلسى ، وترجم كتاب نظرات فى تاريخ الاسلامى لدوزى، واتجه بعدذلك بعنف إلى المعرى ، وعاش طويلا معه ، وأخرج «رساله الغفران » إلى هنا ، كان كامل كيلانى قد أنفق صدراً من حياته فى هـذا الجو الأدبى التاريخى الشعرى . . فـكيف قفز بعد ذلك إلى القصه فعاش لها وحشدلها جهوده كلها حتى اخرج قصصا تربو على المائه والخمسين . . ؟

الواقع أن هـذا الاتجاه القصصى عند كامل كيلانى إنما كان نتيجة طبيعيه لطابع شخصيته ومعالم نفسه ، ولو أنه لم يكتب القصه لعقفطرته ولظل

فى عداد « الأدباء » ولم يقفز إلى صفوف « الرواد »

أن كل أثر من آثار كامل كيلانى فى مستهل حياته الأدبيه يعطينا خيطا من خيوط شخصيته القصيصه كما جاءت بعد ذلك قوية خلاقه عندما ابدعت هذا اللون الجديد فى الادب العربى . وهو قصص الاطفال .

فان التاريخ والشعر والادب كلها نوافذ على الفن القصصى واعداد له . وهو « النواه » التى تخلق الروايه . .

فاذا عدنا إلى الوراء ، إلى حياه كامل كيلانى وجدناها قد رسمت وفق أسلوب قصصى ، فقد تفتحت روحه على الاسطوره العربية ، فاندفع يقرأ كل اسطوره فى كل أدب

قرأ ذات الهمة ، وعنتره ، وسيف بن ذى يزن . وفيروز شاه . وحمزة البهلوان ، والظاهر بيبرس وهى فى مجموعها تبلغ ١٧٠ كتاباً ولكن هذا الرصيد الضخم لم يكفى القارىء الطلعة ، الذى اندفع يقرأ الاساطير فى الأدب الأوربى ، روبنسن كروز ، وجفلر ، وغيرها من اساطير الهند واليونان فانشأ بهذه القراءات فى أعماقه منطقة سحريه عجيبة ، ظل يعيش فيها حتى انفجر حاجزها عندما بلغ غاية قوته ، على هذه الصورة الرائعه .

وأمده التاريخ بالمادة الخام ، فقد قرأ إلى هذه القصص ، أمهات كتب التاريخ ، وامدة الشعر باللوحات الفنيه ، وهو فيما يروى — قرأ كل مخطوط ومطبوع من شعر العرب ، ثم أمده الأدب الانجليزى والفرنسى بالوضوح والبساطه والدقة . .

شخصيتان

احب كامل الكيلانى شخصيتان فى الأدب العربى ، وكلف بهما كلفا عجيبا : هما « المعرى » و « جحا » وآراءه

وهو يقول فى ذلك أنهما يجمعان فى نفسه أهواءه وآرائه وأصداء نفسه

فهو جماع بين « المعرى » العابس المتجهم و « جحا » الباسم الساخر .

ولعله انشأ فن قصص الأطفال لأنه لم يجد فى شبابه قصة عربية صالحة . تسد هذا الفرغ ، فلما أحس التفوق أقبل عليه بفهم ومقدرة . وهو أيضا قد ضاق بما أولى الأدب الانجليزى شخصيه « نصر الدين خوجه » جحا التركى ، هذا التقدير ، فى حين أن جحا العربى « الغصن دجين بن ثابت » أقدم منه تاريخا ، وان أغلب ما نسب إلى نصر الدين هو فى الحق – على حد قول الكيلانى – من آثار أبو الغصن ..

وجحا أبو الغصن يمثل الشخصية المصرية المرحة الفكهه . . وتقوم فلسفة فكاهته على قاعدة : عامل الناس بما اختاروا أن يعاملوك به

ومثل ذلك أن أصحاب جحا قالوا له وقد وجدوا عنده «خروفا» سمينا ، أن القيامه ستقوم بكره ، ولذلك فان الخروف لا بقاء له وذبحوه ، وأوقدوا النار لشيه ، فجاء جحا وألقى بملابسهم فى النار . . . فلما سألوه دهشين لماذا فعل هذا : قال ألم تقولوا أن القيامة ستقوم بكره ، إذن فلا حاجة إلى هذه الملابس . . .

* * *

يقول الاستاذ الكيلانى أن « الاسطورة » دعامة حياته .. لقد كان الابن الرابع عشر لأمه بعد أن مات أخوته ... فنشأ فى جو سحرى يعبق بالاساطير والأغانى . . .

فلما بدأ يقرأ تلقى أولى دروس الأدب على يد بائع بسبوسة وشاعر على الربابة وعربجى . فلما بدأت صور الاساطير تتبلور فى نفسه كتب أول قصة «سيرة للأمير صفوان وما جرى له بالتمام والكمال والحمد لله على كل حال . . »

وكان الحاج مصطفى الحلبى بائع البسوسة .. هو أولى من كون ملكته الادبيه ، وهو غير الحلبى الناشر ، وكان هذا البائع يحفظ عن ظهر قلب قصائد الشاعر الصوفى عبد الغنى النابلسى .

ثم تلقى دروسا أخرى . على يد الشيخ محمود الملاح الشاعر الذى كان يغنى على الربابة فى القهوة المواجهة لحارتهم وكانت صداقته الأسطى محمد الشيخ العربى من امتع الصداقات الأدبية .

ويروى الأستاذ الكيلانى قصة طبع سيره الامير صفوان فيقول أنه أرسلها إلى حد الكتبيه فى شارع الازهر ، فاعجب بها وطلب مقابله المؤلف ، فلما ذهب إليـــه ، وكان يلبس جلبابا قديرا وفيقابا وسنه إذ ذاك خمسة عشر عاما . . وكان يبدو أقل من ذلك ، نظراً لنحافة قوامه وقصر قامته مما حمل الشاعر شوقى على أن يسميه « عقرب الثوانى[1] » . .

فلما رآه الكتبى قال : ابنه .. أى أنت ابن المؤلف ، فقال له بل هو انا المؤلف نفسه ، فنظر إليه فى شراسه وقال : اذهب وعندما تكبر عد ..

ومضى الكيلانى حزينا ضيق الصدر ، تدور به الدنيا ، فقد فشل فى المعركة الأولى .

أدبا . .

وكامل الكيلانى لايفضل أدب على أدب ولا كاتبا على كاتب آخر ولا قصيدة على قصيدة أخرى إذ أن « آية الجمال أنك تعيش مع كل عظيم فتراه أشبه بالحسناء التى تنسيك جميع الحسان . »

أما أبو العلاء فيختلف وميزته عند الكيلانى أنه يعبر عن كل أفكاره . فهو يرى نفسه شبيها به « انسى الولادة وحشى الغريزة » ويرجع هذا إلى أنه ولد فى احضان جبل المقطم ، فالف منذ طفولته العزله الباكره وفلسفته فى هذا أنه لايرتبط مع العالم إلا فى أضيق الحدود . وقد كان هذا مما اتاح له أن يقرأ ويستوعب ويحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر

---

(١) الكيلانى كعقرب الثوانى قصير ولكنه سريع الخطى منتج يأتى بدقائق الامور

وأهم حادث أثر فى مجرى حياته ، وهو أن طائفة من أصدقائه ماتوا سنة ١٩١٤ بالهيضه ، فقدهم فجأه ، وكان بعضهم أقوى منه صحه … فأحس بأن القدر قد تخطاه خطئا ، وان ما بقى من عمره إنما هو زيادة ورسم الحادث له فلسفة عميقة فى الايمان بالقدر . والاستهانة بالحياة . . وسأل مرة لو بقى يوم من عمره ماذا بفعل ، فاجاب : أكمل آخر مازمه من كتابى .

. . . واصيب مرة بازمة قلبيه ، فلم يحزنه خلالها الا انه لم يقرا كتاب « برودكستر » وهو من ابعد الكتب التى قراها اثرا فى حياته وقد توفر على قرائته بعد ان ابل من ازمته … حتى لايندم عليه لو المت به ازمه اخرى

* * *

هذا الشاعر ، هذا الرجل الذى عاش فى الاساطير ، والقصص والروى بين الف ليلة و بين حروب سيف بن ذى يزن الذى يحبه كثيرا

. . . هل له قلب . هل أحب . . . . ، ماذا كان أثر الحب فى أدبه وحياته . . .

أن قصة قلب الكيلانى لم تكتب على الصوره المروعة التى يحتفظ بها فى أعماقه ، .. أنه لايريد أن يطلع أحداً على هذا السر فى هذا السن . ولكن قصة « سنيه » فى مجموعته القصصية « مختار القصص » تعطى صوره قريبه لفرتر الذى أوشك أن ينتحر فعلا ، لولا خاطر شعرى كان سببا فى انقاذه . هو أنه لم يودع فراشه الذى امضى حياته فى احضانه . وهو ودود الوف . . . بالطبع !

هذا الحب دفعه إلى أن يحفظ ديوان العباس بن الأحنف . ويسترجعه ، وتتراءى له فى خلال شطراته ، احلامه وأماله ومشاعره . . .

لقد أحب العباس بن الأحنف حبا صادقا نقيا ، وكذلك أحب الكيلانى ..

* * *

ولا تكتمل شخصية « كامل الكيلانى » إلا إذا تحدثنا عن ندوته ، فهى جزء من شخصية . أن فصولا كامله من تاريخ الأدب المعاصر يجب أن تكتب فى ندوه الكيلانى ، فان أحاديث شوقى ومطران وداود بركات وأحمد زكى شيخ العروبه وشهبندر وصادق عنبر التى جرت فى هذه الندوه هى عصاره هذا التاريخ الحى ..

* * *

زوجات فى الأدب العربى المعاصر

كثيرا ما تكون الحياة الزوجية أشبه بالزهرة المونقة . الرائعة المظهر ، العطرية الشذى . فى مظهرها وطابعها ، وكثيراً أيضاً ما تكون أشبه بالزهرة فى سرعة ذبولها .

... وهم كتاب أربعة . عرفوا الحب ، وجمعهم الزواج بمن أحبوا ، ثم شاءت يد الموت ، أن تفرق بينهم و بين من أحبوا فكان « موت الزوجة » فاجعة بعيدة الأثر فى حياة هؤلاء الكتاب والشعراء . فأطلقت أقلامهم ، وأسالت على شباتها شعراً ونثراً . غاية فى الروعة والقوة . تفنى الأجيال ويظل هو خالداً ، يصور ذلك الحزن المقدس الذى انطوت عليه نفوس أحبت وفقدت ، وعاشت على ذكرى من تحب .. لم يكن رثاء الزوجة معروفاً من قبل فى الأدب العربى ، فهو « فن مستحدث » وتعد قصيدة البارودى ـ الشاعر الذى يضعه النقاد علما على أولى مراحل النهضة الشعرية فى الأدب العربى الحديث باكورة هذا الفن .

أيدى المنون

كان البارودى قد نفى إلى جزيرة سرنديب مع العرابيين . وهناك فى منفاه وبعد أكثر من عشرة أعوام جاءه النبأ بوفاة زوجه فى مصر .. فتلقاه الرجل الأسير فى جزع وحزن بالغين . إذ كانت سنه قد علت ، وكان النفى قد هد قواه . . .

وهذه أبيات من قصيدته الحزينة :

أيد المنون قدحت أى زناد	وأطرت أى شعلة بفوادى
أوهنت عزمى وهو حمله فيلق	وحطمت عودى وهو رمح طراد
ماكنت أحسبنى أروع لحادث	حتى منيت به فأوهن أدى
لا لوعتى تدع الفؤاد ولا يدى	تقوى على رد الحبيب الغادى

يا دهــــر فيم فجعتني بخليـــلة | كانت خلاصة عدتي وعتـادي
إن كنت لم ترحم ضناي لبعدها | أفلا رحمت من الضنى أولادي
أفردتهن فـــلم ينمن توجعاً | قرحى العيون رواجف الأكباد
ألقين در عقودهن وصغن من | در الدموع قلائد الأجيـــاد
يبـكين من وله فراق أحبـــة | كانت لهن كثيرة الاسعاد
هيهات بعدك أن تقر جوانحي | أسفاً لبعدك أو يلين مهادي
ولهي عليك مصاحب لمسيرتي | والدمع فيك ملازم لوسادي
فاذا انتبهت فأنت أول ذكرتي | وإذا أنتهيت فأنت آخر زادي
سر يا نسيم فبلغ القبر الذي | بحمى الامام تحيتي وودادي
كل امرىء يوماً يلاقي ربه | والنـاس في الدنيـــا على ميعاد

ومهما يكن من سذاجة التعبير وبساطته فان القصيدة تنطوي على «لوعة» حزن صادقة ، وتصور الأزمة النفسية العاتية التي ألمت بالبارودي حين انبيء بوفاة زوجه وهو في منفاه وأن بدا عليه التجمل والاعتصام بالصبر والايمان أنات حائرة

فجع الشاعر «عزيز أباظه» في زوجه . فأخرج ديواناً كاملا من قصائد الرثاء لها ، فـكان بذلك أول عمل أدبي كامل عن رثاء الزوجة في الأدب العربي المعاصر ويبدو (عزيز أباظه) في شعره مثال المحب الوفي . الذي ترفع حبه عن الدنايا وتبرأ من الاثم ، فلما فقد من أحب صارعته أهوال الحياة ، فذهبت به إلى كل مكان .

ولمـا أن ضاق صدره ذهب إلى أرض النبوة وطاف بالـكعبة .. عله يجد لأزمته الروحية فرجا ، ولـكن دون جدوى !

وهذا نموذج من شعره عنها في الحرم :

وقفت أناجي الله عنـــد المشاعر | وقد خشعت نفسي وجاشت خواطري
فقلت له قد شفها فاذا بهـــا | ضني دب حال من العمر ناضر

وحاقت بها الأحداث شتى شكولها ... فلم تنقها إلا بإيمان صابر
أخ فأخ ثان فثالث ... تهاووا دراكا كالنجوم الزواهر
تلقت على ضعف مصيبات فقدهم ... فناءت بفداح من الخطب صاهر
وزالت كظل الفجر لم تخل روضة ... تعاهدها من عبقرى المآثر
وقلت له يا رب أقسم صادقاً ... وأنت عليم ربنا بالسرائر
فما برمت يوماً بداء ولا شكت ... لغيرك ما قدرته من مقادر

ويقول فى قصيدة أخرى :

يذكرنيك كل جليل أمر ... وكل يسيره فتذوب نفسى
إذا سكب الصباح فأنت همى ... وإذا وقب المساء فأنت أنسى
جمعت على الهوى طرفى نهارى ... كأنى لم أرع بنواك أمسى
رعاك الله ما فارقت روحى ... وإن فارقت بعض الوقت حسى
ذكر القصر ذا الابهاء تعلو ... قواعده على كرم وترسى
يرف رفاهه وسنى ويشرا ... كما زفت عروسى يوم عرسى
فما زالت صروف الدهر تجرى ... بمكروه من الأقدار نحسى
فماتوا كالنجوم الزهر خمسا ... وما كانوا وحقك غير خمس
حملت مصيرهم فعييت حزناً ... فرحت شهيدة تفديك نفسى

من وحى المرأة

لاشك أن حباً عظيما ذلك الذى استطاع أن يخرج للأدب العربى هذه الآيات الخالدة من الشعر والنثر . فهذه القصائد والصور التى أخرجها بالشعر عزيز أباظه وعبد الرحمن صدقى وبالنثر سعيد العريان جديرة بأن توحى إلى النفس الثقة بوجود المرأة الملهمة فى مصر .

... لم يكن عبد الرحمن صدقى بالشاعر المنتج ، وإن كانت له قبل الفاجعة بعض مقطوعات وقصائد كان يقولها بين آن وآخر .

ولكنك تعجب . حين ترى صدقى يسرف فى إبداع الشعر ، إسرافاً عجيباً ، بعد هذه الفاجعة ويكتب بضعاً وسبعين قصيدة فى فترة لاتتجاوز العام .

وهى قصائد جيدة ممتعة رائعة — كقصائد عزيز أباظه — وهى جيدة السبك . دقيقة الأداء . مشرقة الديباجة . واضحة الملامح تصدر عن نفس صادقة فى المها وجزعها .

وتسأل صدقى عن سر ذلك فيقول لك : إن النثر لم يشأ أن يطاوعه فى الأداء بعد هذه الفاجعة . واستجاب له الشعر .

كان يرى صدقى فى زوجه حاجة العقل والحس والنفس والروح ، ورفيق الرحلة وخير سمير للحديث ينضد . ويجلسان الأشعار يدرسانها معا . ويمتازشعر صدقى بأنه يصور آلام نفس صادقة الحس ، وأحزان روح مفعمة باللوعة ، ولكنه يتعالى عن الصراخ .

وقد تسامى صدقى بالحزن حتى جعله مادة فنه ، ونفس عن الألم بالصورة الرفيعة ، يقول فى وصف زوجه :

تأملتها زوجى فمنظرها الغض ... ومعقولها الرأسى ومخبرها المحض
بدائع خلق قد تآلف نظمها ... فما أن يوفهن نظم ولا قرض
لقد دنت بالحب الذى انتظم الدنى ... فلاقت كمالاتٌ به بعضها البعض
إلى أن دعا داعى المنون بزوجتى ... وصار إلى عقم الفلا ذلك الفيض
وعفى على هذى الكمالات كلها ... وهيل عليها الترب واستوت الأرض
توليت كالمجنون أعول منكراً ... إلى أى حد راح بالقدر البغض
مضى العام لاأقضى التعجب مذ قضت ... كان البرايا منذ آدم لم يقضوا

ويقول فى قصيدة أخرى :

أيا غرفة مرموقة لصق غرفتى ... مطفأة الأنوار رهناً بظلمـــه

...رى بابك المطروق بالأمس موصداً	ومخدع زوجى أنت بل أنت جنتى
فأدعو بزوجى وهى جد سميعة	لا بمعرى ولكن الصدى رجع دعوتى
لقد كنت يا زوجى لدى الصبح موقظى	وكنت حسيبى فى خروجى وأوبتى
فما لى لا ألقاك يومى وليلتى	وبابك من بابى على قيد خطوتى

تحت الرماد

ثم يجىء دور الرثاء فى النثر ، هذا الرثاء الرائع الذى كتبه سعيد العريان ونشر منه فصولا فى الصحف سنة ١٩٤٠ ، سنة[1] ١٩٤١ .

يتمثل فى هذا الرثاء الإيمان والصبر والحنين والحب الدافق العميق ، فقد كانت مأساة الأستاذ العريان — تتمثل له فى كل لحظة فى صورة الطفلة التى تركتها أمها فى يومها الأول .. استمع إليه فى يوم الذكرى الأولى لوفاتها :

« هذه الشعاعات المنبعثة من شتى جهات المدينة ، وضواحيها صاعدة إلى السماء ، تلتقى وتفترق .. وتأتلف وتختلف . لكأنى رأيتها قبل الليلة .. وفى مثل هذه الليلة ، عم تبحث فى حواشى الأفق وتتبعها عيناى ..

إن لى فى السماء ضالة أنشدها .

... وأغمضت عينى فرأيت حفيف الشجر فى الحديقة حفيفاً أعجم ليس له جرس ولا معنى ، كان « شيئا » .. يتخذ طريقه من خلال العصون المتشابكة ، واستروحت عطراً الفته منذ سنوات ، واسكرنى الشذى فضرب على عينى وايقظ وجدانى ... أيها الطيف الذى أنعم بالوداد فى أول ليلة من ليالى رمضان ، ليتنى وليتك ... ليتنى وإياك لم يكن لنا فى هذه الحياة تاريخ .. لا .. بل سيخلد هذا التاريخ ويبق .. إننى لأضن به على النسيان .. »

وفى قطعة أخرى يصور قصة تاريخية لطفل يتيم فيقول :

وقف عزرائيل يوما بين يدى ربه فسأله الله سبحانه وتعالى . ألم تأخذك الشفقة يوما بمخلوق أمرت أن تقبضه ..

(١) مجلة الثقافة (الادب فى أسبوع) بقلم (قاف) .

قال . لك الحكمة يارب .. سألتنى مرة أن أقبض أمرأة ، جاء أجلها وأنها لعلى الطريق فى مغارة موحشة ليس فيها صوت ولا صدى وبين يديها جنين قد وضعته لساعتها ، لم يفتح عينيه على نور الحياة بعد ، ولم يلقم ثدى أمه ، ليس بينه وبين الأحياء سبب إلا هذه المريضة النفساء . . قد حان أجلها . . . فداخلنى يارب مما رأيت رأفه ووجد .. وأوشكت — ولك العصمة — إن أعترض ولكنى صدعت بأمرك ..

وخلقت فى الصحراء حيا على صدر جسد هامد » ...

وبعد فهذه قصاصات مما كتب العريان فى موضوعه ، فى أزمته النفسية ، أزمة فقده لزوجته ولكن ماذا نعمل وسعيد لايزال يضن على الأدب العربى بكتابه « تحت الرماد » الذى صور فيه مأساته ، ويقينى أنه من أروع الكتب فى فنه وبابه وموضوعه .

أشترك عزيز أباظة ، وعبد الرحمن صدقى ، وسعيد العريان فى مأساة الزوجية المحبة الصادقة الود التى ملأت فراغ نفس صاحبها الكبير النفس ، ثم عاشت معه .. أياما أو سنوات كانت من أيام الفردوس ، ثم مضت إلى ربها .. وخلفت فى قلب الشاعر أزمة عاصفة .. نفس عنها قلبه البارع بفن رفيع سيخلد على الأجيال .

اضواء على نفسيات الادباء

أردت بهذا الكتاب فى اجزاءه الثلاثة — وهذا أحدها — أن القى بعض الاضواء على حياة الادباء المعاصرين وأن اتناول هذه الحياة وفق أسلوب الدراسة النفسية الحديثة وأن أربط بين الأدب والاديب ، وبين الكاتب والانسان .

وان أبحث عن نفسية الكاتب فى أدبه . وأجعل من هذه الدراسة مقدمه لدراسة أخرى أكثر استيعابا وشمولا . وأكثر موضوعية وتركيزا : هى دراسة « نزعات التجديد فى الأدب العربى المعاصر »

وأشهد أننى منذعام ١٩٣٠ على وجه التحديد، بدأت أجمع موادهذه الدراسة وجذاذتها وكل مايتصل بها حتى بلغت الآن أكثر من ثلاثة آلاف جذاذه ، وما أراها أوفت على ما أريدأن أصل بها إليه وأنى لارجوأن أتابع هذا البحث حتى يصدر شاملا يراه القارىء والاديب والباحث فى تاريخ الأدب العربى المعاصر دعامة لاسبيل إلى تجاهلها أوتجاوزها أوانكارها .

وقد كان على أن اتصل بادبائنا الاحياء وأن أجرى معهم الكثير من الأحاديث لاربط بين الاسانيد التى بين يدى وبين الأشخاص أنفسهم . وأن أكمل ماقد يكون هناك من نقص فيما عندى من أبحاث . وقد أتاح لى هذا اللقاء فهما عميقاوالقى الكثير من الاضواء على هذه النفسيات وأمدنى بفيض من المعرفة الحقة للانسان الكامن وراء الأديب

لقيت العقاد مرات ودارت بينى وبينه أحاديث واستمعت إليه فى صالونه يوم الجمعه وقابلت سلامه موسى مصادفه فى الترام وتحدثت معه عن أثاره . واتيح لى أن امضى مع الاستاذ الزيات لقاء خاطفا فى الأزهر يوم كان يحرر مجلته .

أما تيمور فقد صاحبته طويلا والممت لدبه بهذه النفسيه العذبه الهادئه الرقيقة .

وأمضيت مع فريد أبو حديد سهرات فى داره الريفيه فى الزيتون وحدثنى طويلا عن حياته وأدبه والقيت توفيق الحكيم فى دار الكتب ومضى يحدثنى ساعات .

أما طه حسين فقد عشت معه أمسيات حلوه عاطره فى صالونه الأدبى فى الزمالك وصادفت هيكل مره فى دار الاتحاد النسائى وحدثته عن ما كانت تروى الصحف اللبنانية عن تهريب بعض مؤلفاته الاسلامية إلى حدود تركيا ولقيت غير هؤلاء من أدبائنا الشباب وكتابنا الاحياء

وقد كان حبيبا إلى نفسى أن اتناول بالدرس شخصيات أخرى لمعت فى محيط الأدب فتره ثم أنطوت أوهى تحولت من ميدانه إلى ميادين أخرى كالدكتور منصور فهمى . كما فرقت فى هذه الدراسة بين الأديب والصحفى بالرغم من أن هناك صحفيين لهم أسلوب أدبى . وبالرغم من أن أدبائنا كانوا صحفيين فى الأغلب .

ولقد أتيح لى أن اسجل بعض المذكرات عن بعض هذه المقابلات . ومنها مقابلات[1] الدكتور طه حسين الذى حدثنى عن أساتذته ممن اتصل بهم فى أول الشباب فى محيط البحث العلمى . أنه يرى لهم عليه فضلا كبيرا لا يقدر ، من هولاء لطفى السيد والشيخ سيد المرصفى وأحمد زكى باشا . وقد دله لطفى السيد عن « قيمة الاشياء » وفتح له باب التفكير الأوربى الحديث . وفتح له سيد المرصفى باب انشاء « الذوق الأدبى الكلاسيكى » . وهيأ له أحمد زكى باشا التمرن على البحث العلمى وتحقيق النصوص . ولم ينس فضل الشيخ الخضرى وحفنى ناصف والشيخ محمد المهدى

(١) فبراير ١٩٥٢

وفى مقدمة من اتصل بهم من المستشرقين الاجانب وأولهم وأهمهم « نالينو » الايطالى « وجويدى » الكبير فى أول العهد بالجامعة . « مليونى » الذى عرفه بالتاريخ القديم للبابليين والاشوريين ولم يكن قبل ذلك معروفا . و « سانتلانا » الذى درس له الفلسفة الأسلامية .

أما فى أوربا فقد درس تاريخ الرومان على جسوستاف بلوك وتاريخ اليونان على جلوتى وعلم الاجتماع على دركايم

ولقد سألت عميد الأدب رأيه فى الأدباء المعاصرين فرفض أن يتحدث عن الأدباء الاحياء ولما عرضت عليه إسماء بعض من افضوا إلى رحمة الله قال أن أقربهم إلى نفسى : مصطفى عبد الرازق

.. لم نكن فى الشباب زملاء ، ولكن المودة وحدث بيننا على أختلاف السن ، ثم أصبحنا زملاء لاسيما عندما قدمت استقالتى من الجامعة . . وهو صاحب ذوق فى الأدب ممتاز . ومتأثر بالقديم بحكم تعليمه وتربيته وتأثير والده. وهو من أشد الناس حبا لبهاء زهير . وقد الف فيه كتابا . وله شعر يغنيه أهل مدينة المنيا .

وهو يحب الأدب المصرى القديم . ثم أحب الأدب الكلاسيكى بعدعودته من أوربا ، وانشأ له أسلوبا خاصا فى الكتابة .

وهو مقل بطىء . يكتب على مهل . ويعاود كتابته بالصقل والتهذيب حتى يصح أن يوصف بانه كاتب صناع . ويرجع هذا إلى حكم المهنة باعتباره من أساتذة الفلسفة الأسلامية ولم تخرجه الابحاث الأوربية عن التأثر بالقديم، ويكسب الأدب المصرى كثيرا لو أن أسرته نشرت مذكراته فقد كان لاينام قبل أن يكتب مذكرات وافية عن يومه كله . .

* * *

فلما سالته عن الدكتور زكى مبارك . قال كان يذكرنى دائما بابى حيان

التوحيدي . فقد كان أبي حيان عالماً ممتازاً وكان رائع العبارة . ولكنه كان لا يبالي الحق ولا يبالي الباطل وقد أنهى أبي حيان حياته بأن أحرق كتبه كلها . وغاية القول في زكي مبارك أنه فلاح أزهري سافر إلى أوربا ولم يستطع مقاومة الحضارة الحديثة ، واندفع وراء اللذات البسيطة السهلة .

وكان قد بدأ حياته الأدبية بمقالات يتهمني فيها بأنني سرقت محاضراته وقد كان تلميذي في الجامعة المصرية القديمة . وكانت سنه أكبر من سني . وكان يكتب إلى « حضرة والدنا الدكتور طه حسين » وسألت الدكتور طه عن قصة « أحمد الله إليك » التي كتب عنها الدكتور مبارك فصلا في الرسالة سنة ١٩٣٨ فنفاها وقال إنها من أكاذيبه .

* * *

وسألته عن المازني فقال : أن العلاقة بينهما لم تكن على صفاء كبير . وكانت كل كتاباته تصدر عن طبيعته ونفسيته » ومما كان بيني وبينه أنه عندما صدرت جريدة الاتحاد وكنت رئيس تحريرها كان يعمل معي . وكان يكتب في الاتحاد نهاراً ويشتمني ليلا في جريدة الأخبار . وكانت آخر مناوشة بيني وبينه حول شعر عزيز أباظه .

ولما رشح المازني للمجمع . كنت أول من انتخبه . ولكنه على طريقته لم يصدق . وتكلفت كثيراً حتى أقنعته .

وهو كاتب ممتاز يجمع بين الأسلوب القديم والسخرية اللاذعة . يكتب بأسلوب عبد القاهر ويمثل العقلية القاهرية . وشخصية ابن البلد . وقد احتفظ بالمزاج المصري تماماً . . وكان يحب ابن الرومي .

* * *

وحدثته عن عبد العزيز البشري فقال أنه كان مرحاً متفائلا دائماً . وكان لا يرى إلا ومعه حافظ ابراهيم . . عرفته في خان الخليلي وفي ربع السلحدار بالذات . مع علي عبد الرازق ، وكان طالباً معي في الأزهر . وكان علي

عبد الرازق يخرج من بيتهم فى عابدين فيحضر دروس الصباح ، وكنا أنا وهو نحضر دروسنا معاً . لا سيما البلاغة ودروس الكامل على الشيخ المرصفى . ودروس الأصول والمنطق .

ولم يصبر عبد العزيز علينا . ولم ينتظر معنا أكثر من ثلاثة أيام ، فقد اجهدته « الفنعلة » والفنقلة اصطلاح عن الأبواب التى تبدأ بكلمة « فان قيل قلت » .

وكان عبد العزيز يغشى صالون آل عبد الرازق ويملأ الجو بنكاته وحكاياته . وعبد العزيز يمتاز فى كتابته جداً وأهم ما أعجبنى منه مقالته « فى الطائرة . . »

* * *

وسألته عن الرافعى . وكنت أحس كأنما أسبب له حرجاً لما كان بينه وبين الرافعى من خصومات . . ولكنه أجاب مبتسما . أنه قابله فى حياته مرتين : أولها عند ما انتقد — أى الدكتور طه — كتاب حديث القمر . وكان قد أرسل إليه برقية يقول فيها « أن الكتاب ظهر منذ أسبوعين فلا تطل انتظارى » فكتبت له أننى لم أفهم الكتاب . وكان الأستاذ سعيد العريان جالساً فأخذ يحدثنى عن الفصل الذى قدمه الدكتور.. غيرأن الدكتور منع سعيداً من أن يتم الحديث ! . ،

وختمت حديثى مع الدكتور طه بأن سألته عن نقطة التحول فى حياته فقال : إنها ثلاث نقط لا نقطة واحدة : الأولى هى السفر إلى أوربا لأنه حولنى من التقليد إلى التجديد والثانية هى الزواج لأنه اخرجنى من وحدتى وأسعدنى بنعمة الحب والثالثة هى إنجاب الأبناء لأنه جعلنى أشعر بالحنان وبقسوة الحياة وتبعاتها .

* * *

وهذه ساعة مع توفيق الحكيم سجلتها فى مذكراتى[1].

أبرز ما لفت نظرى فى هذا الكاتب الفنان براءته وبساطته . وطبيعته الهادئة الرقيقة . وعند ما تحدث عن نفسه كنت أعرف سلفاً كل ما قال إذ كان قد دونه فى كتابه « فن الأدب » الذى قرأته منجما فى « أخبار اليوم » .

وكان أهم ما سألته عنه : هذه القصص التى كتبها . وهل لها صلة بشخصيته فقال : أن الفنان لا يستطيع أن يكتب دون أن يكون لقصته أو لأبطالها صدى فى نفسه . وهو ليس كالمؤرخ أو الباحث الذى يستطيع أن يكتب فى كل موضوع . إنه يبحث عن أوعية وعن قوالب . يصب فيها أفكاره وآرائه ورغباته . ولذلك فهو يلجأ إلى الأساطير لأن شخصياتها « منفسحة » وتستطيع أن تطوى تحتها ما يشاء الفنان أن تطويه من آراء .

وقال عن كتاب الرباط المقدس أنه قصة واقعية حقاً .. ولكنها لا تتصل به شخصياً وأنه سمعها من بعض أبطالها . وكنت قد قلت له : أن البعض يرى أن هذه أول تجربة وجدانية للمؤلف .

وحدثنى عن الخلق الفنى فقال : أن الخلق لا يكون من غير أصل قديم . وأن الله سبحانه خلق آدم من الطين . ثم نفخ فيه من روحه . فمهمة الفنان هى أن يعطى هذه المادة الجامدة . . الحياة من روحه هو . ولذلك فان أسطورة ما .. قد تناولها عشرات الكتاب فيختلفون فى تصويرها وإبرازها باختلاف تأثرهم بها . وبحسب قدرة كل منهم على استلهامها أو منحها من فيض ارواحهم .

* * *

ومما قاله لى أنه بدأ يكتب عام ١٩١٦ غير أنه لم ينشر مؤلفاته إلا بعد عام ١٩٣٢ . وقد أتاح له اتصاله بالبيئات النيابية إجادة الحوار وأنه كتب قصة « الضيف الثقيل » عام ١٩١٨ .

---

(١) ١٠ مارس ١٩٥٢

وقال أنه متهم بأنه من أصحاب البرج العاجى ومعنى هذا أنه يسكن . فى « عش » مرتفع عن الناس ، فلا يتصل بهم . والواقع أن هذا محض افتراء وأن من قرأ مقدمة كتابه « البرج العاجى » يعلم أنه كان يقصد البرج العاجى السياسى .

وأنه شخصياً قد اتصل بالبيئات المختلفة . أيام كان محققاً . كان يعيش فى قضايا الناس ومشاكلهم وجرائمهم . وكان يحقق معهم ويعرف ما تضمره نفسياتهم .

وقال أنه يعتبر الأدب هوايته فكما يلعب بعض الناس البلياردوا مثلا يلعب هو بالأدب ويرى أن الأدب قد فشل تماماً عن توجيه الناس والأمم ، فمنذ عهد بعيد ورجال الفن والأدب بيدعون الإنسانية روائع آياتها . وما زالت الأمم تقرأ هذه الآثارفلا تفيد منها شيئاً يحولها من الشر أو يدفعها إلى الخير وقال : « إننى اؤمن بأن الأدب لم يستطع أن يكون موجها . وأنه اكتفى بأن يكون مجرد لوحات تعجب الناس فيقرأونها .

أما محمود تيمور فقد حدثنى فى جلساته المتعددة عن حياته وفنه . حدثنى طويلا وإنى لأذكر مما قال أن استثارة الإلهام تحمله على أن يجعل أربعة أشياء قريبة منه حين يتناول القلم لتكون خط دفاع يعين الخواطر والأخطار على أن تمضى طليقة فى تحويمها آمنة فى سربها ، لا تفزعها الطوارى وهذه الأشياء هى : قدح قهوة ولفافة تبغ وسبحة وزجاجة نشادر .

* * *

وبعد فليس مكان هذا الحديث فى الواقع هذا الجزء من كتابنا عن الحياة الوجدانية والنفسية لأدبائنا المعاصرين . وإنما مكانه فى الجزء المقبل[1] الذى تضمن الحديث عن الأدباء الذين أفضوا إلى رحمة الله وهم : ابراهيم

---

(١) نساء فى حياة أدبائنا .

عبد القادر المازنى . وزكى مبارك ، ومصطفى صادق الرافعى ، وأحمد أمين ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وعبد العزيز البشرى . ومحمد السباعى ، ومصطفى عبد الرازق ، وجرجى زيدان ، وجبران خليل جبران ، وأحمد شوقى، وحافظ إبراهيم وجميل صدقى الزهادى ، ومحمد إقبال والكاتبه « مى »

ولقد عرضنا لحياة هؤلاء الكتاب وفق الأسلوب الذى سرنا عليه فى هذا الجزء ولكننا أردنا أن نجعل من كل كتاب وحده مستقلة .

واتماما لهذه الدراسة سنقدم مجموعة ثالثة(١) قد اكتملت فعلا إبحاثها وأصبحت صالحة للنشر عن الأدباء الذين جاءوا بعد هؤلاء الرواد والذين كانوا ثمرة النهضة الأدبية الجديدة والذين بدأت أثارهم تظهر فى الصحف فيما بين سنة ١٩٣٠ وما بعدها وهم : على أدهم وإبراهيم ناجى وزكى عبد القادر وفتحى رضوان وسعيد العريان وعلى الطنطاوى وعبد الرحمن صدقى والصاوى وفكرى أباظة ومحمود كامل وزكى أبو شادى وأمير بقطر وأبو القاسم الشابى وصديق شيبوب وإبراهيم المصرى ومن الكاتبات والشاعرات جميلة العلايلى وبنت الشاطىء وأمينه السعيد وفدوى طوقان وجليلة رضا .

وأمامنا بعد هذا ثبت طويل من الكتاب والكاتبات نرجو أن يتاح لنا التوافر على الدراسات النفسية والوجدانية الخاصة بهم حتى نقدمهم فى هذه السلسلة ونتمنى لو اعانونا على هذا وفى مقدمة هؤلاء : خليل شيبوب ومحمد عبد الغنى حسن وسعيد عبده ومحمود محمد شاكر ووداد سكاكينى وجاذبية صدقى وسهير القلماوى وغيرهم .

وإنا لنرجوا أن يتاح لنا إتمام هذه الموسوعة على الوجه الذى يرضى الأدب والفن والتاريخ .

---

(١) وراء النوافذ المغلقة فى حياة الادباء .

خاتمة

كتبت هذا السفر سنة ١٩٥١ كحلقة من دراساتى المطولة عن الأدب العربى المعاصر . ثم أعدت كتابته مرة أخرى سنة ١٩٥٣ .

واضطررت حين بدأت أنشره إلى تقسيمه إلى أجزاء — هذا — عن الكتاب الأحياء حتى مارس ١٩٥٥ — أطال الله أعمارهم — والآخر عن الأدباء المتوفين وسيظهر على الأثر . ولهذا الكتاب جزء ثالث عن كتابنا الذين ظهروا فى الربع الثانى من القرن العشرين .

وليس هذا الكتاب فى الواقع دراسة نقدية أو موضوعية لكتابنا . وإنما هى صورة نفسية تحليلية أردت بها أن أصور الدوافع الإنسانية المباشرة لأدبهم وفى مقدمتها المرأة والحب وأثرها فى إنتاجهم والغاية الكبرى هو أن أرسم صورة لحياتهم من أدبهم .

ولعلى أعود بعد ذلك فاؤرخ لهم وأكتب نقداً شاملا لإنتاجهم عند الحديث عن « تيارات التجديد فى الأدب العربى المعاصر » حيث أفصل مدارس الأدب المعاصر والزعامات والمساجلات التى درات فى الفترة مابين ١٩٢٣ — ١٩٥٣ .

الكتاب القادم

نساء فى حياة الأدباء المعاصرين

بقلم أنور الجندى

يمثل وحدة مستقوله تشمل دراسات عن حيـــاة الأدباء المتوفين من المعاصرين ومدى أثر المرأة والحب فى أدبهم . وبه تفاصيل عن النواحى الوجدانية والنفسية التى أثرت فى محيط حياتهم وأعطت أدبهم هذه الألوان التى عرف بها .

مصطفى صادق الرافعى
جبران خليل جبران
الكاتبة مى زياده
أضواء على حياة مى وماساتها
زكى مبارك
ماساة زكى مبارك : ولماذا تحطمت حياته
مصطفى عبد الرازق
محمد السباعى

جرجى زيدان
عبد العزيز البشرى
مصطفى لطفى المنفلوطى
أحمد أمين
إبراهيم عبد القادر المازنى
أحمد شوقى
حافظ إبراهيم
جميل صدقى الزهادى
محمد إقبال

يصـــدر أول يونيه

بلا أمل

قصة الصراع بين الحب والكبرياء . بين شاعر شاب وكاتبة موهوبة . أروع صفحات الحب والفن فى رسائل خالدة ومذكرات بلغت غايتها فى الجمال والبلاغة والتصوير الجرىء للعاطفة ، المضطرمه فى نفس كل منهما .

قصة المرأة التى أحبها أديب وطبيب وشاعر وعاشت فى صراع بين الزواج والحب . وبين العقل والعاطفة وقصة الشاب الأديب الذى عاش فى صراع بين حبها وحب آخر كان يلهب عاطفته ومدى صراع المرأتين فى نفسة. إنها قطعة من تاريخ أدبنا المعاصر . وصورة حية للوفاء والغدر .

كتبها أنور الجندى وتصدرها دار الأعلام للطبع والنشر

قريباً جـــداً

المرأة والحب فى حياة أدبائنا المعاصرين

صفحة